مدينة الذكريات المنسية
مجموعة قصصية
عُلا محمد مرسي
دار
أكاديمية الكاتب
للنشر الإلكتروني

مدينة الذكريات المنسية

مجموعة قصصية

علا محمد مرسي

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: مدينة الذكريات المنسية

المؤلف: علا محمد مرسي

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

تصميم غلاف وتنسيق داخلي: محمود كمال

المقاس ١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-18-1-260201

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى النور الذي يضيء دربي.. "أمي" الغالية.

إلى من شاركني الحلم والصبر.. زوجي "أحمد حسن".

كما أتوجه بوافر الشكر والامتنان إلى كل من :

أستاذى محمود كمال، الأستاذ محمد حسن، والأستاذة عائشة عمارة؛

تقديراً لجهودهم ودعمهم لى .

(أطياف المجهول)

"حين ترتدي الحقيقة قناع الخيال، لتخبرنا بما لا يجرؤ الواقع على قوله"

الرجل المثالي

جلست ندى إلى المهندس سليم، أحد المصممين الرئيسيين في شركة "الروبوتات المحدودة" الكائنة في منطقة "سيدي بشر"، تستمع إليه باهتمام وهو يعرض عليها كتالوجات الروبوتات الاجتماعية. حتى إذا ما انتهى من كلامه، أعربت عن رغبتها في رؤية النماذج عن كثب لاختيار روبوتٍ يناسب ذوقها. فأجابها أن الروبوتات جميعها في بداية تشغيلها تُبرمج كما يحلو للعميل، وهي فقط تحتاج لصفات شكلية ليوفر لها الروبوت الذي يوافق ذوقها. صمتت ندى قليلاً، ثم فركت رأسها مفكرة وقالت:

- أريدُه شاباً وسيماً، طويلَ القامة، عريضَ المنكبين، أسمرَ البشرة، ناعمَ الشعر يصففه بطريقة كلاسيكية على طريقة تسعينات القرن الماضي.

استمع المهندس سليم باهتمام لعميلته المحتملة، ثم قال متعجباً:

- تسعينات ماذا؟ نحن يا آنسة نحيا في عام ألفين وستين، وأنتِ تبحثين عن مواصفات لرجل عاش منذ سبعين سنة!

ضحكت ندى ضحكة قصيرة وقالت:

- طالما أعجبتني هيئةُ جدي في صُوَرِ زفافه ومقاطع الفيديو الخاصة به، وتمنيتُ الارتباط برجلٍ يشبهه في شَبابه.

أومأ سليم برأسه وقال متفهماً:

- على أي حال، أياً كانتِ الصفاتُ الشكلية التي تريدينها فستُنَفَّذ، لا تقلقي. عليكِ سدادُ خمسةٍ وعشرين في المائة من تكلفة النموذج لنبدأ في التنفيذ .

أومأت برأسها متفهمة، ثم سألته عن المبلغ، فأجابها أن هناك عرضاً حالياً في الشركة سيستمر حتى نهاية الأسبوع، ومن الأفضل لها أن تلحق بالعرض قبل أن

ينتهي؛ فما عليها سوى تسديد مائتين وخمسين ألف جنيه، ثم تستلم النموذج بعد أسبوعين فقط.

نهضت ندى بعد أن شكرت المهندس، وترجلت حتى سيارتها الهوائية التي تنتظرها في الخارج، ولم تمر سوى لحظات حتى حلقت بها في سماء الإسكندرية لتصل إلى فيلتها في منطقة "رشدي" بعد مرور خمس دقائق فقط.

استقبلتها والدتها وسألتها عن سبب عودتها مبكراً من النادي، فأوضحت لها أنها قررت شراء روبوتٍ لتتخذه صديقاً؛ فقد سئمت من البشر وكذبهم وخداعهم المستمر. فخطيبها السابق دأب على إمطارها بعبارات الحب والهيام، لكنه في الواقع لم يهدف سوى لثروتها. لكن أمها عنفتها وأخبرتها أنها ليست موافقة على هذا الجنون، فالروبوتات من وجهة نظرها قد صُنعت لتعاون البشر في مهامهم اليومية، لا لتحل محل الأخ والحبيب والصديق. لكن ندى أشاحت بوجهها وقالت:

- أمي، لقد خُطبت مرتين، وتأكدت أنني لن أجد بغيتي بين البشر، ولا تقلقي؛ لن أخبر أحداً في حفل خطوبتي القادمة أن العريس روبوت.

اتسعت عينا أمها عن آخرهما؛ فقد كانت تعتقد أن ابنتها تتشبث بلعبة لن تلبث أن تزهدها، أما أن يصل الأمر لخطوبة وزواج، فهذا هو الجنون بعينه. مرت لحظات قبل أن تتمالك نفسها، وتُبلغ أباها الذي حاول إثناءها عن فكرتها المجنونة بلا جدوى، فقرر الانصياع إلى طلبها خوفاً من خروجها من عباءة الأسرة وفقدها إلى الأبد. لقد أراد أن يسمح لابنته بخوض تلك الفكرة اللامعقولة، على أمل أن تدرك فداحة خطئها في نهاية الأمر، أو يجد طريقة ما لإنهاء هذه الأزمة.

* * * *

ذهبت ندى إلى شركة الروبوتات في اليوم الأخير من العرض، بعد أن استطاعت بصعوبة الحصول على ثمن الروبوت من والدها. جلست إلى المهندس سليم بعد أن سددت ربع المبلغ وهي متشوقة للحصول على روبوتها الحبيب. طلب منها الحصول على بياناتها الشخصية، ووضع خوذة فوق رأسها، ثم أمرها بالاسترخاء حتى تُجمَع البيانات.

مرت لحظات قبل أن يطلب منها خلع الخوذة، ثم نزع منها شريحة صغيرة وضعها في علبة سوداء، قبل أن يعتدل في جلسته ليضغط **زراً** في خاتم يحيط بأصبعه، فتكونت صورة ثلاثية الأبعاد لشاب وسيم يدور حول محوره، يطابق طلباتها بشكل مذهل. اتسعت ابتسامتها ودق قلبها بعنف قبل أن تلتفت إلى المهندس سليم وتقول:

- رائع! إنه يشبه فتى أحلامي بشكل مذهل، أوافق بشدة على النموذج.

تراجع سليم في مقعده وشبك أصابعه وهو يبتسم ابتسامة مهنية، وقال وهو يرفع العلبة السوداء التي تحوي شريحة بياناتها:

- إذن سنبدأ في تجهيز النموذج فوراً، ونزوده بشريحتكِ لكي يتعرف عليكِ فور تشغيله. سأتواصل معكِ فور الانتهاء، وعندها ستسددين باقي المبلغ لتتسلمي روبوتكِ .قالت وقد عقدت ما بين حاجبيها:
- لا تعجبني الكلمة، سأسميه "باسم". قل لي، متى يمكنني رؤيته؟

نهض سليم من مكانه وتوجه إلى مكتبة تقع على يسار مكتبه، وفتح أحد أدراجها ليخرج عقداً مطبوعاً من نسختين قدمه إلى ندى، وطلب منها قراءته، ثم كتابة اسمها ووظيفتها وتاريخ ميلادها، وأخيراً تذييله بتوقيعها. أخذت منه النسخ ودارت بعينيها بين السطور ثم قالت:

- لا أفهم شيئاً! ما الداعي لهذه العقود؟ أنا لن أشتري فيلا أو سيارة !

ابتسم سليم ابتسامته المهنية المعهودة وقال:

- هذا ليس فيلا ولا سيارة، إنه روبوتٌ طُوِّر على مدى أجيال ليصعب التفريق بينه وبين الإنسان، ولا بد أن تضمن الشركة التزام العميل بكل بنود العقد؛ ابتداءً من عدم إساءة استخدامه، وانتهاءً بالمجيء كل شهر لعمل الصيانة اللازمة له. لذلك ستجدين شرطاً جزائياً في البند الخامس من العقد، يشمل حق الشركة في استرجاع النموذج دون تعويض العميل في حالة إخلاله بشروط العقد.

تعالت دقات قلبها وسقطت الابتسامة من شفتيها، وقالت في حذر:

- سأوقع هذه الأوراق بعد قراءتها جيداً، وعند عودة "باسم" معي للمنزل.

ثم نهضت وأشارت إليه مودعة بعد أن دست العقدين داخل حقيبتها.

* * * *

مر أسبوعان على ندى وكأنهما دهر، وجاء اليوم الموعود عندما أضاء خاتمها بنبضات متقطعة مع شعور بدغدغة في إصبعها. نقرت عليه فتشكلت لها في الفضاء صورة "هولوجرامية" تحوي أزراراً لتطبيقات متعددة. ضغطت إحداها لتفتح لها نافذة جديدة تحوي رسالة من شركة ***"الروبوتات المحدودة"*** تخبرها بضرورة الحضور باكراً لتسلم روبوتها بعد تسديد باقي المبلغ.

ومع دقات التاسعة صباحاً كانت في صحبة سليم، تسلمه نسخة من العقد وتخبره أنها قد حولت لحساب الشركة باقي المبلغ، عندما سُمعت طرقات على الباب، عقبه دخول شاب وسيم، فارع الطول، أسمر البشرة، ناعم الشعر، قد صففه على طريقة التسعينات. تقدم منها وانحنى يلتقط كف يدها، ثم طبع قبلة عليها قبل أن يجلس قبالتها، وقال بصوت يدغدغ المشاعر:

- أوحشتني يا حبيبتي، لقد انتظرتكِ طويلاً.

فركت ندى عينيها وهي تحاول أن تصدق ما تراه، ثم التفتت إلى سليم وقالت:

- من يكون؟

لم يجبها سليم، فقط احتفظ بابتسامته المهنية تاركاً مساحة للشاب:

- كيف لم تعرفيني يا ندى؟ أنا باسم، خطيبكِ. ألن نذهب لتعرفيني على والديكِ كما وعدتِني؟

لم تعرف ما تقول، فقط أخذت تنقل بصرها بين باسم وسليم، ليتخلى سليم عن صمته ويقول:

- ما بكِ؟ هل نسيتِ؟ لقد زودته بكل معلوماتكِ التي أخذتها منكِ سلفاً، لذا هو يعرفكِ الآن حق المعرفة. تستطيعين الآن أن تصحبي باسماً معكِ، ولا تنسي أن تحضريه كل شهر في التاريخ المحدد في العقد. أما سرير الشحن الخاص به فقد أُرسل إلى عنوانكِ.. ستُشحن بطاريته كل مساء، فهو مصمم كالبشر ليخلد للنوم ليلاً حيث تستعيد بطاريته شحناً يكفيها طوال اليوم.

نهضت ندى وقد تأبطت ذراع روبوتها، وخرجت معه متوجهة إلى منزلها. قالت له متعجبة وهي في طريقها للخارج:

- أنت دافئ وكأنك بشري!

ابتسم لها ابتسامة عذبة وقال:

- نعم، لقد صُممتُ لأحاكي درجة حرارة جسم الإنسان.

دلفت إلى بهو الفيلا متأبطة ذراع "باسم"، عندما ألفَت والدتها تجلس لتشاهد فيلماً "هولوجرامياً". التفتت إليها أمها لتسألها عن باسم، فأجابتها بأنه خطيبها. أغلقت الأم جهاز الهولوجرام ونهضت، ثم تحركت حتى وقفت قبالته وقالت وهي تشير إليه:

- أتقصدين هذا الإنسان الآلي؟ إنه مجرد آلة! لا أعرف متى تشفين من جنونكِ هذا؟ ثم تركتها ودلفت إلى غرفتها.

التفتت ندى إلى باسم، واقترحت عليه أن يذهبا إلى مطعم فاخر لتناول الغداء، فأومأ لها موافقاً. وهناك طلبت منه اختيار طاولة على ذوقه، فقال لها:

- من الممتع الجلوس بجوار النافذة لمراقبة منظر البحر البديع.

ثم أشار إلى طاولة معينة وأكمل:

- هذه الطاولة تطل على البحر، وفي الوقت نفسه بعيدة عن باقي الرواد.

أعجبها دقة ملاحظته واختياره لطاولة مثالية، مما شجعها على أن توكل إليه مهمة اختيار الأصناف، فأجابها وابتسامته العذبة لم تفارق وجهه:

- شرائح اللحم المشوي بجوار الخضار المطهو على البخار أفضل خيار، لذا دعينا نطلب طبقين .ابتسمت في سعادة وهي تقول:
- كم أنا سعيدة لتطابق ذوقنا في تناول الطعام!

لكنه ألقى فوق رأسها دلواً من الماء البارد عندما أوضح لها أنه لا يتذوق الطعام، بل يمكنه فقط تحليل مكوناته واختيار أفضل العناصر الصحية بما يتناغم مع ذوقها، لذا اختار هذا الطبق. ابتلعت جملته في غُصة؛ فهي تحاول أن تتناسى أنها في صحبة إنسانٍ آلي، لكن الواقع يردها دائماً للحقيقة العارية.

مر شهر منذ دخل باسم إلى حياتها، وحان موعد عودتها إلى شركة ***"الروبوتات المحدودة"*** كما ينص العقد. كانت قد نسيت تماماً هذا الأمر؛ فقد كان تركيزها طوال هذه الفترة ينحصر في نزهات متنوعة تصطحب فيها باسماً إلى أماكن مجتمعية مختلفة، حيث أبهر أصدقاءها بقوة إقناعه، فلم يشك أحدهم في أنه مجرد إنسان آلي، لكن هناك شيئاً غير ملموس لا يريحها بشأنه، لم تتمكن بعدُ من الوصول إليه.

جاءها قبل موعد الشركة بيوم ليخبرها أن عليه الذهاب معها غداً إلى هناك، فأومأت برأسها موافقة. وعند وصولهما، أخبرها المهندس سليم أن عليها تركه أربعاً وعشرين ساعة للصيانة قبل أن تصحبه مرة أخرى؛ شعرت بعدم ارتياح، لكن لم يكن في يدها ما تفعله سوى العودة إلى منزلها والانتظار. أمر سليم "باسم" أن يخضع لعملية نسخ بيانات ذاكرته طوال الشهر الماضي، لكنه اعترض وقال موضحاً:

- هذا يعتبر تجسساً على خصوصيات العميل.

ابتسم سليم بسخرية وقال:

- هل نسيت نفسك؟! أنت مجرد حفنة من الأسلاك لا يحق لها الاعتراض مطلقاً.

قال جملته الأخيرة ثم ضغط خاتمه، ليتحول باسم إلى مجرد تمثال بلا إرادة، وبدأ بنسخ كل ذكرياته طوال الشهر الماضي.

* * * *

جلست ندى ساهمة تفكر في أحداث الشهر الماضي، وتعيد ذكرياتها مع باسم وتتساءل " لماذا هي غير سعيدة؟ إنه يراعي مشاعرها، فلا يغضبها ولا يخالفها في شيء، بالإضافة إلى أنه طوع بنانها؛ فلا يعتذر عن عدم قدرته على الذهاب معها إلى أي مكان أرادته، ولا يمل أبداً من الاستماع لكل ما تقوله له مهما أطالت "

لم تستطع اللجوء إلى والديها؛ لأنها تعرف مسبقاً رأيهما بشأنه، ولا إلى صديقتها المقربة؛ لأنها لن تجرؤ على البوح بحقيقته بعد أن أوهمت الجميع أنه بشري مثالي. فماذا تفعل؟

كررت السؤال مرات عديدة حتى تذكرت جدها الذي لم تزره منذ شهرين وقت انشغالها بفكرة الحصول على الروبوت. وبالرغم من أن جدها أقرب الناس إليها، لم تفكر أن تسأله قبل أن تقدم على هذه الخطوة، لكنها الآن تحتاج أن تذهب وتستشيره في الأمر .وهناك استقبلها بابتسامة لائمة عن تغيبها عنه طوال هذه الفترة. استمع لها باهتمام ثم جذبها من يدها إلى النافذة العتيقة، وحدثها عن الفترة التي اعتادت أن تجلس معه عندما كانت صغيرة تشكو إليه والديها، وتتساءل عن سر منعها من تناول حلواها اللذيذة متى أرادت، وكيف وقتها كان يجيبها أنها ستعلم عندما تكبر، لكن يبدو أنها لم تتعلم شيئاً.

نظرت إليه وعيناها يملؤهما عدم الفهم والشرود، فقام وتوجه إلى الثلاجة ليصب لها كأساً من عصير البرتقال المنعش الذي تحبه، فتناولته في فتور على غير عادتها وقالت:

- جدي.. لا أفهم ما ترمي إليه، وما علاقة شكواي وأنا صغيرة بهذا الأمر؟ جرع الجد كأس العصير دفعة واحدة كما اعتاد دوماً، ثم اعتدل في جلسته وقال:
- الحلوى طعمها حلو وتعطينا السعادة، لكن الكثير منها يسبب مشاكل في الأسنان والوزن. كذلك الإنسان عندما يتخذ رفيقاً لحياته متمنياً في قرارة نفسه أن يكون مثالياً، وأن تغرب المشاكل والاختلافات إلى غير رجعة.

السر في الاعتدال؛ لذلك لم يشعركِ هذا الآلي بالسعادة التي تمنيتها، لأنه مثالي أكثر من اللازم، وهذا شيء يدعو إلى الملل والفتور.

هزت رأسها متفهمة وقالت:

- هل تقول إني أخطأت في اقتنائي لهذا الآلي؟

مد الجد يده وربت على كتف حفيدته وقال:

- تحتاجين فقط أن تغيري إعدادات هذا الروبوت وتحويله إلى مدير لأعمالكِ، لأنه لا يصلح ليكون حبيباً وزوجاً لكِ في المستقبل. فإذا تغاضينا عن حاجتكِ البيولوجية للإنجاب، فلن تستطيعي أيضاً أن تتحملي إنساناً آلياً يلبي جميع طلباتكِ ويوافقكِ الرأي في كل شيء، ناهيكِ عن أنه لن يتقدم في العمر ولن يمرض. فسر الحب يا بنيتي هو أن يكون لكل طرف شخصية مستقلة، وليست تابعة تنفذ الأوامر التي تُلقى إليها.

* * * *

ذهبت ندى في اليوم التالي لتستعيد باسماً، وكلام جدها يدور في عقلها كإلكترونٍ لا يملك الخيار للفكاك من مداره. وعندما استعادته وسار معها في طريق العودة إلى البيت، سألته عما حدث معه طوال الأربع وعشرين ساعة الماضية، فأجابها بأنه قد خضع لعملية نسخ ذاكرة، فسقط قوله عليها كالصاعقة.

ضغطت زراً في ذراع نظارتها، فظهرت لها قائمة أزرار لتطبيقات في الهواء، اختارت منها تطبيق الهاتف ثم أجرت اتصالاً بالمهندس سليم والشرر يتطاير من عينيها، تتهمه بالتجسس عليها مما يعرضه لعقاب الحبس، لكن هالها صوته الواثق عندما قال:

- راجعي العقد المبرم بيننا، البند الثالث عشر، والذي يتضمن نسخاً شهرياً لذاكرة النموذج بغرض التحسين والتطوير المستمر، وكذلك لتجنب فقد البيانات نتيجة لخطأ متعمد أو غير متعمد .مرت لحظة صمت قصيرة قبل أن يطمئنها ويقول:
- لا تقلقي، نحن لا يهمنا أي شيء دار بينكما، فالبيانات المنسوخة ليست تسجيلات صوتية، لكنها قدرات تعليمية متراكمة يكتسبها النموذج بمرور الوقت.

مرت لحظة صمت أخرى قبل أن تقول ندى في لهجة حاسمة:

- أعتقد أنه يتبقى لي عشرة أيام أخرى قبل أن أقرر الاحتفاظ بالنموذج، أم أعيده لكم مع نسبة خسارة تبلغ خمسة وعشرين في المائة.

تمت

قصر آل مراد

كان سامي يعيش في أحد البيوت العتيقة في حي "مصر الجديدة".. ماتت زوجته في جائحة كورونا تاركة له "لين"؛ طفلته ذات الأعوام العشرة. كان مضطراً لأن يتركها وحيدة طوال النهار حتى يعود إليها من عمله في تمام السادسة مساءً، ومعه لفافة طعام تفوح منها رائحة لذيذة تجعل اللعاب يسيل رغماً عنك.

لكن "لين" لم تكن تكترث بما يجلبه معه، كانت تكرر جملة واحدة:

- بابا.. أنا "مللت".. أجلس بمفردي طوال النهار حتى تعود.

وضع اللفافة على الطاولة وضمها إليه في رفق وهو يقول بصوت حنون:

- لين.. لقد كبرتِ يا حبيبتي، وهناك أشياء كثيرة يمكنكِ التسلية بها حتى أعود.. عندكِ الشاشة والهاتف والحاسوب، كما أنكِ تحبين الرسم، وأنا أحضرتُ لكِ ألوان الزيت ولوحات القماش التي طلبتِه.

دقت الأرض بقدميها في تذمر، ثم عقدت ساعديها أمام صدرها في تحدٍ:

- أوف" .. أقول لك مللت!

صمتت برهة ثم قالت في رجاء:

- اتركني أخرج يا أبى لأذهب إلى النادي، أريد رؤية أصدقائي .

قال لها في نفاد صبر:

- لين.. قلتُ لكِ مائة مرة؛ الخروج بمفردكِ لا. ألا أخرجكِ في يوم إجازتي؟ ماذا تريدين أيضاً؟

لم تجبه هذه المرة، بل اندفعت إلى غرفتها باكية، وصوته يأتي من خلفها:

– تعالي لتتغدي يا لين.. ليس في كل مرة.. كفى دلالاً.

دلف إلى الحمام وترك ماء "الدش" يغسل تعب يومه، وبعد دقائق خرج يلف جسده بمنشفة والماء يقطر من رأسه. ألقى نظرة سريعة على لفافة الطعام قبل أن يعاود النداء على طفلته، لكنه لم يسمع غير صوت السكون. حث الخطى وفتح باب غرفتها، لكنها لم تكن هناك.

ألجمته المفاجأة، فاندفع يبحث عنها في كل أرجاء المنزل، لكنها لم تكن موجودة؛ كأنها تبخرت في الهواء! استجمع شتات نفسه وأخذ نفساً عميقاً، ثم تناول هاتفه وطلب رقمها.. ثوانٍ مرت كأنها دهر قبل أن يأتي الصوت الذي يمقته الجميع:

– "هذا الرقم غير متاح حالياً. من فضلك حاول الاتصال في وقت لاحق.

ألقى هاتفه بعنف على الأريكة وعاود الدخول إلى غرفة ابنته لعله يجد طرف خيط ينبئه أين ذهبت؟ هذه المرة تسمر في مكانه وتساءل:

– "كيف لم أرَ هذه الرسمة عندما دخلت غرفتها منذ قليل؟."!

رسمت لين واجهة "قصر آل مراد" الكائن في منطقتهم السكنية، في الجهة المقابلة لمنزلهم بالتحديد.. طلاء متآكل، شروخ تنتشر بعشوائية، شرفات تهدمت أسوارها، حديقة مهملة يسكنها الكثير من الهوام، وبومة تقف في سكون على فرع شجرة جاف وعيناها تلمعان برعب قوطي. استخدمت لين درجات البني والأسود والرمادي لتضفي كآبة متعمدة على لوحتها.

اندفع سامي إلى جهاز حاسوبها وهز الفأرة بعنف، فانكشفت صفحة الدردشة مع الذكاء الاصطناعي.. دارت عيناه بسرعة على الكلمات؛ معلومات تخص "قصر آل مراد" بالذات، ذلك القصر الذي دارت حوله الكثير من الخرافات التي لم يصدقها يوماً.

دقت الثامنة مساءً، وخلا الشارع من المارة تقريباً، لأن البرق كان يضيء السماء وصوت الرعد يصك الآذان كأنه طبول حرب وشيكة. لم يأبه لكل هذا، فخوفه على طفلته أفقده رشده. اصطحب معه مصباح ***"كيروسين"*** عتيقاً؛ لأنه لا يثق كثيراً في مصباح هاتفه الذي يخذله دائماً في اللحظات الحرجة.

وصل القصر ودفع بابه الحديدي، فتحرك بصوت معدني اختفى مع عودة قصف الرعد. دلف إلى الحديقة المهجورة وارتد إلى الخلف في حركة غريزية عندما ارتطمت بكتفه بومة ناعبة. كاد أن يسقط لكنه تماسك في اللحظة الأخيرة. رفع عقيرته منادياً باسم طفلته، لكنه لم يسمع غير صدى صوته. اندفع بجوار قدمه جرذ صغير، لم يأبه هذه المرة، يبدو أنه أزعج سكان القصر!

صعد الدرج ثم دفع الباب الخشبي، لم يفتح بصرير مزعج كما توقع، بل تهدم أسفل قدميه مخلفاً الكثير من التراب ومسحوق الخشب الذي أصابه النمل الأبيض. عاود النداء في يأس أقرب للبكاء، وزكمت أنفه رائحة العطن والهواء المحبوس منذ سنين. رفع مصباحه عالياً فانعكس ظله على الحائط بشكل أرعبه. لوحة كبيرة نسبياً تحمل وجه سيدة من أربعينيات القرن الماضي تبتسم في هدوء، وخيوط العنكبوت أضحت كالغابة تغطي كل شيء. سعل عدة مرات، غطى أنفه من التراب وعاود النداء بيأس. لعب الشيطان برأسه ووسوس له:

- "ستجد ابنتك الآن معلقة من رقبتها تتأرجح في الهواء.. فقط ابحث عنها في غرف الطابق الثاني."

هز رأسه ينفض عنه أفكاره السوداء وصعد للطابق العلوي مسرعاً، فانكسرت إحدى درجات السلم الخشبي تحت قدمه فغاصت حتى الكاحل، مخلفة ألماً لا يُحتمل. صرخ من الألم ونادى على ابنته وهو يجر قدمه المصابة. بحث في غرف الطابق العلوي لكنه لم يجد غير الأتربة ونسيج العنكبوت. وفجأة، قفز رغماً عنه وصرخ من ألم قدمه عندما رن هاتفه المحمول في جيبه. أخرجه بسرعة وضغط زر الإجابة وهو غير مقتنع بحقيقة الاسم الظاهر على سطحه المضيء. وضع الهاتف على أذنه فجاءه صوتها:

- أبى.. أين ذهبت؟ لقد ذهبت لأشتري بعض الطلبات من ***"السوبر ماركت"*** ولكن عندما عدتُ لم أجدك.. أبى.. أبى.. لماذا لا ترد عليّ؟!

تمت

المرآة الملعونة

سلمى فتاة جميلة في الثانية والعشرين من عمرها، وحيدة والديها.. تخرجت حديثاً في كلية التجارة ولم تحاول أن تبحث لها عن عمل؛ فهي تؤمن أن العمل ليس شيئاً أساسياً في حياة المرأة، وأن النساء اللواتي يعملن إنما الحاجة وضيق العيش من دفعهن لذلك. لكنها ولدت في عائلة ميسورة، فليس عليها إذن سوى انتظار زوج المستقبل.

حتى جاء يومٌ حضرت فيه مزاداً شهيراً كما هي عادتها. وقف المزايد في مقدمة القاعة خلف منصة خشبية؛ كان أصلع، مكتنز الجسد، قصير القامة، يضع فوق أنفه نظارة نظر بإطار دائري، وكان يقف على كرسي خشبي خلف المنصة كي يراه الجمهور. وبعد أن افتتح المزاد، بدأ بمرآة عتيقة بإطار من الفضة وقال محاولاً رفع صوته فخرج أجشَّ مزعجاً:

- السادة الحضور.. نبدأ المزاد بمرآة أثرية نفيسة بإطار من فضة تعود إلى القرن الرابع عشر، وكانت تمتلكها سيدة فرنسية نبيلة تدعى "مدام إيزابيل دومونتير"، يقال إنها ماتت بمرض غامض.. نبدأ بخمسة آلاف جنيه.

انتشرت همهمة بين الحضور بينما بدأ البعض يرفع أيقونته الخشبية لعرض سعر أعلى. أما سلمى، كعادتها في كل مزاد تحضره وتعجبها فيه قطعة نادرة، لا تستريح ولا يهدأ لها بالٌ حتى تنالها مهما كان الثمن.

* * * *

اكتفت اليوم بالمرآة الأثرية؛ كانت شغوفة للغاية بأن تعود لتجلس معها وتلمس إطارها وتنظر في صفحتها، لذا لم ترغب بالبقاء حتى نهاية المزاد. خرجت وفي يدها علبة من القطيفة الحمراء تضم تحفتها التي دفعت فيها خمسين ألفاً من الجنيهات، لتجد سائقها الخاص ينتظرها على جانب الطريق. عادت للمنزل واستقبلتها والدتها بابتسامة وتَعجبْ لعودتها من المزاد مبكراً، لم تجب سلمى على

الفور بل طبعت قبلة على خد أمها ورفعت العلبة القطيفة في الهواء لتقول في فخر وسعادة:

- إنها مرآة أثرية تعود للقرن الرابع عشر، انتظري سأريكِ إياها.

أجابتها الأم:

- إنني مشغولة الآن يا حبيبتي، سأراها في وقت آخر.

لم تهتم سلمى واندفعت إلى حجرتها بكنزها الثمين، التي يتصدرها سرير كبير يعلوه ظهر مبطن بالساتان الوردي، وعلى جانبيه زوج متطابق من "الكمود" يعلو كلاً منهما أباجورة برأس من الشيفون الوردي الفاتح مثبت على حافتيه زخارف ورود حمراء. بينما تتدلى من السقف ثريا أثرية من النحاس تتفرع منها كرات من الكريستال. أما جدران الغرفة فقد تم طلاؤها أيضاً بلون وردي فاتح.. وعلى يمين الباب "ركنة" وردية عليها ثلاث وسادات من الساتان الوردي الغامق وفي منتصف كل وسادة زرٌّ زجاجي. بينما تطل الغرفة الواسعة على حديقة الفيلا قبالة حمام السباحة مباشرة، من خلال شرفة تتدلى منها ستائر من الشيفون الوردي المشجر.

جلست سلمى على أريكتها وهي متلهفة لإخراج كنزها الثمين. فتحت العلبة القطيفة وأخرجت المرآة ونظرت إليها في سعادة باسمة الثغر، لكن فجأة سقطت من فمها ابتسامتها وتبدلت بنظرة ذهول ورعب جعلتها تلقي بالمرآة كـ "رد فعل انعكاسي" غير مصدقة ما تراه عيناها. عكست المرآة وجه سلمى لكن ليس كأي مرآة.. كانت المرآة تعكس وجهاً ذابلاً مريضاً مغلفاً بالحزن بينما تتساقط الدموع حارة على وجنتيه.

مدت يدٍ مرتعشة لتلتقط المرآة التي سقطت من قبضتها على الأرضية المغطاة بسجادة فارسية كثيفة الوبر، وهي تحاول أن تقنع نفسها أن ما رأته سابقاً وهم بصري، ثم نظرت ثانية فظهر لها وجهها هذه المرة ينظر إليها بنظرة حادة متحدية جعلتها تصرخ صرخة مدوية جلبت إليها الخدم ومن خلفهم والدتها. انهارت وغطت وجهها بكلتا يديها وأخذت تبكي مرتعبة. هدأتها والدتها وأخذت بيدها إلى الخارج بينما أمرت خادمتها بإحضار كوب من عصير الليمون بالنعناع المفضل لسلمى وقالت والقلق ينهشها:

- ما بكِ يا بنيتي؟ هل حدث شيء؟

قالت سلمى من بين دموعها:

- المرآة التي أحضرتها تواً من المزاد.. تعكس وجهي لكن لستُ أنا.. أقسم لكِ لستُ أنا.

تعجبت الأم غير مصدقة ما تقوله ابنتها وهمت بقول شيء عندما أحضرت الخادمة كوب العصير، فتناولته لتعطيه لابنتها قائلة في حنان:

- ابنتي.. كل ما في الأمر أنكِ لم تنامي جيداً ليلة أمس بسبب حرصكِ على الاستيقاظ باكراً لحضور المزاد .

شربت سلمى العصير دفعة واحدة بيدٍ مرتعشة فانسكب بعضه على ثوبها وقالت في انهيار:

- إن لم تصدقيني اذهبي بنفسكِ وانظري في المرآة.

أمرت الأم الخادمة بإحضار المرآة لتدحض قول ابنتها، وما هي إلا لحظات وكانت المرآة في يدها.. فنظرت في صفحتها وقالت:

- أرأيتِ؟ لا يوجد شيء غريب. كما قلتُ لكِ؛ مجرد إرهاق.. أنا ذاهبة لشراء بعض متطلبات حفل اليوم.. تعالي معي وانسَيْ أمر هذه المرآة تماماً .أجابت سلمى أنها متعبة وتريد أن تنام لعلها تنعم ببعض الراحة والهدوء.

* * * *

عادت الأم من الخارج وخلفها اثنان من الخدم يحملان عنها أكياس المشتريات، فوجدت زوجها جالساً يطالع التلفاز، فألقت عليه التحية وتعجبت من عودته باكراً من العمل، فقال لها:

- لا شيء.. شعرتُ أني لستُ على ما يرام، فقررتُ العودة.. أين سلمى؟

أخبرته بما حدث مع سلمى فلم يكترث، فهو يعلم أن ابنته المدللة متقلبة المزاج. ذهبت الأم إلى المطبخ لمتابعة الخدم والاطمئنان أنهم قد أعدوا وجبة الغداء. ألقت نظرة فاحصة على الأطباق المتنوعة التي كانت تُرص بعناية على طاولة المطبخ ، وتأكدت من أن كل شيء يسير على ما يرام، ثم عادت أدراجها إلى بهو الفيلا حيث تركت زوجها. جلست إلى جواره لتتجاذب معه أطراف الحديث فبادرها بسؤال:

- هل تنوي سلمى النوم طوال اليوم؟

أخبرته أنها لم تنم أمس جيداً، فطلب منها أن تذهب لتطمئن عليها وتخبرها أن والدها يريد الحديث معها.

كانت والدة سلمى سيدة أرستقراطية من عائلة عريقة تربت على طاعة زوجها وعدم مناقشته كثيراً.. ما هي إلا دقائق وعادت إلى زوجها ممتقعة الوجه، زائغة العينين وقالت وهي ملتاعة القلب:

- أدركني يا شكري.. سلمى لا تستيقظ والعرق يغرق وجهها!!

لم يمهل الأب زوجته حتى تكمل حديثها، بل هرع إلى حجرة ابنته ليجدها فاقدة للوعي. وبقلب وجل، مد يده إلى جبينها ليجدها تعاني من الحمى، فأمر زوجته بعمل كمادات باردة على الفور بينما أخرج هاتفه بيدٍ مرتعشة وطلب الإسعاف.

* * * *

جلست الأم إلى جوار ابنتها وهي منهارة من البكاء، بينما وقف الأب يتحدث مع الطبيب المعالج محاولاً أن يفهم سبب مرض ابنته، لكنه لم يصل لشيء؛ لأن الطبيب أخبره أنه سيعمل على خفض الحمى مؤقتاً ريثما ينتهي المعمل من إجراء التحاليل اللازمة.

مر أسبوع كامل في المستشفى وسلمى لا تزال في غيبوبتها، يشتعل جسدها بالحمى التي لا تستجيب لعلاج، اللهم إلا خافض الحرارة الذي بمجرد أن ينتهي مفعوله يعود الجسد للاشتعال مرة ثانية. فأخذت تذبل رويداً رويداً، ولا شيء يشير إلى أنها على قيد الحياة إلا أنفاسها الضعيفة. عاود الأب الإلحاح على الطبيب ليعلمه ما حل بابنته، لكن إجابته كانت واحدة في كل مرة:

- انتهينا من كل الفحوصات، ولا شيء يدل على سبب فقدانها للوعي أو ارتفاع درجة حرارتها.

فكر الأب أن ما حدث لابنته قد يكون شيئاً خارقاً للطبيعة، وخاصة أنها كانت طبيعية لا تشكو من شيء حتى ابتاعت تلك المرآة ، فطلب من زوجته أن تبقى بجوارها وانصرف.

توجه إلى صالة المزاد بعد أن علم عنوانها من السائق الخاص بابنته، وهناك قابل المسؤول وأخبره بما حدث، فعلم منه أن المزاد الذي حضرته ابنته كان يشرف عليه الخبير الفرنسي ***"البروفيسور فاليري"***، فانصرف بعد أن أخذ رقم هاتف الخبير وعنوان الفندق الذي يسكنه.

*** * * ***

البروفيسور ليوناردو فاليري، خبير القطع الأثرية، جاء من فرنسا بمقتنيات "مدام إيزابيل" لبيعها في صالة مزاد شهيرة في مصر، نظراً لتشبع الأسواق الأوروبية بمثل هذه المقتنيات، ولوجود أسواق ناشئة قوية في بلاد الشرق الأوسط. وبالفعل قام ببيع كل مقتنيات السيدة النبيلة في مزاد واحد وبأسعار مرضية. كان قد اعتزم القيام بإجازة في مصر قبل أن يعود أدراجه إلى فرنسا، وقبل عودته بيومين اتصل به الأستاذ شكري والد سلمى وطلب مقابلته في شأن يخص قطعة أثرية ابتاعتها ابنته.

جلس البروفيسور فاليري قبالة الأستاذ شكري في بهو الفندق يستمع باهتمام لحكاية سلمى، حتى إذا انتهى والدها من سرد ما حدث، اعتدل في جلسته وقال:

- هذه المرآة ملك لسيدة نبيلة فرنسية تُدعى "مدام إيزابيل دومونتيل"، والتي عاشت حياة مليئة بالمآسي والأسرار في بلاط لويس الرابع عشر. يقال إنها كانت تمتلك قدرات نفسية خفية، وإنها استخدمت هذه المرآة كوسيلة للتعبير عن حالتها النفسية المعقدة، وأحياناً كوسيلة للتنبؤ. وقد وُجدت هذه المرآة مع مقتنيات أخرى للسيدة في قبو قصر قديم بفرنسا، وقرر الورثة مؤخراً بيعها في مزاد بمصر .

عقد الأب حاجبيه وسأل في حيرة:

- وما علاقة ابنتي بكل هذا؟

قال فاليري موضحاً:

- قد تكون مشاعر السيدة النبيلة قد حُبست في المرآة مما جعل بها طاقة سلبية كبيرة. أما لماذا اختارت المرآة ابنتكِ بالذات، فقد يكون السبب أن روحها مرهفة، لم تتحمل كم الطاقة السلبية المنبعثة من المرآة فسبب لها هذا هذياناً ثم فقداناً للوعي وحمى.

شعر الأب بالتوتر والانزعاج، فلم يعرف هل يصدق الخبير أم إنه يسير في الطريق الخطأ؟ لكنه أقنع نفسه أنه سلك الطريق المنطقي لشفاء سلمى ولم يُقصر، ولم يختر هذا الطريق إلا بعد أن فشل الطب في تحديد سبب مرضها وعلاجها. أفاق من أفكاره على صوت الخبير قائلاً:

- أعرف سبب حيرتك وأتفهم جيداً ما تشعر به، إنك تريد أن تنقذ ابنتك بأي وسيلة، فما يهم الآن هو شفاؤها.

قال الأب بيأس:

- نعم، ما يهمني هو شفاء ابنتي، لكن كيف السبيل لذلك؟

نظر البروفيسور فاليري إلى "لا شيء" وغرق في صمت لدقيقة كاملة قبل أن يطلب من الأب أن يحضر له المرآة. قام الأب بفتح حقيبة ظهر كان يحملها وأخرج منها العلبة القطيفة ودفع بها إلى البروفيسور قائلاً:

- إنها لم تغادر حقيبتي منذ ذهبتُ بها إلى صالة المزاد.

تناول فاليري العلبة وأخرج المرآة وتحسس إطارها وسطحها الزجاجي، ثم أغمض عينيه للحظات وفتحهما ونظر لوالد سلمى نظرة غامضة ثم قال:

- هناك طاقة سلبية كبيرة تتخلل هذه المرآة، وربما أيضاً روح معذبة تريد أن ترتاح وتتحرر. ولا سبيل لخلاص ابنتكِ من مرضها إلا بتحرير هذه الروح لترقد في سلام.

نظر والد سلمى إلى البروفيسور وهو يحاول استيعاب ما يقول ثم قال مستفسراً:

- وكيف يمكن ذلك؟

نظر البروفيسور نظرة العالم ببواطن الأمور وقال محاولاً توضيح ما يقصد:

- تم بيع جميع مقتنيات السيدة إيزابيل، لكننا نحتاج لقطعة واحدة من مقتنياتها شريطة أن تكون قد ارتدتها لفترة من عمرها، حتى تخرج الروح الحبيسة من المرآة إليها.

نظر إليه الأستاذ شكري وعلامات عدم الفهم مرسومة على وجهه وقال:

- ليتك توضح أكثر.

أكمل البروفيسور كلامه وكأن شكري لم يقاطعه أبداً:

- الروح الحبيسة في المرآة ستعتقد أن السيدة إيزابيل هي من تلمس المرآة إذا ما وضعنا قطعة من مقتنياتها فوق سطحها فتخرج منها .
- عاود شكري ليتساءل من جديد:
- وهل هناك قطعة تصلح قد بيعت في المزاد؟

هز البروفيسور رأسه وقال موضحاً:

- من ضمن مقتنيات إيزابيل كانت هناك قلادة فضية لم يفرط الورثة فيها، وهي الوحيدة التي تصلح لإخراج الروح الحبيسة لأن إيزابيل كانت ترتديها طوال حياتها ولم تُنزع عنها إلا بعد وفاتها، لذلك عليك السفر إلى فرنسا لحل مشكلة ابنتك.

سقط شكري في حيرة شديدة؛ ابنته في خطر فهل يتركها ويسافر وراء شيء غير أكيد؟ مرت لحظات ولم يعقب على حديث فاليري، فقال الأخير بشكل حاسم:

- سأسافر بعد غد، عليك أن تقرر سريعاً لو قررت المجيء معي .أجابه شكري في سرعة هذه المرة:

- وهل نسيت أن استخراج تأشيرة عاجلة يستغرق ثلاثة أيام على الأقل من وقت تقديمها؟

أجابه فاليري في حسم:

- سأتصل بالسفارة لتسريع الطلب، كما يمكن أن أنتظرك حتى تستخرج تأشيرتك ولكن..

قال شكري بلهفة ورجاء مقاطعاً فاليري:

- لا تقلق سأدفع لك كل ما تطلبه، المهم أن يتم شفاء ابنتي.

* * * *

سافر فاليري وشكري إلى فرنسا، يحدوهما الأمل في العثور على حل للغز مرض سلمى. وبعد رحلة طويلة لمنطقة ***"لوار فالي (Loire Valley) "*** المعروفة بقصورها الفخمة وتاريخها العريق، والتي شهدت بلا شك فصولاً من حياة السيدة إيزابيل دومونتيل، تقابل شكري وفاليري مع "مدام إيملين" سليلة العائلة والمعروف عنها اهتمامها بتاريخ عائلتها وحرصها على المقتنيات والوثائق القديمة، والتي قام باقي الورثة بتوكيلها بإجراءات بيع بعض مقتنيات السيدة إيزابيل.

استقبلتهما مدام إيملين وقد بدا على وجهها القلق وبعض الفضول؛ فهي كانت تتوقع مجيء فاليري وحده ليتحدث معها كيف سارت الأمور في المزاد، لكن أن يحضر معه شخص أجنبي فهذا ما لم تتوقعه أبداً. فضلت إيملين استقبالهما في حديقة القصر؛ فهي كسيدة من عائلة عريقة وتنتمي لطبقة عُرف عنها الحذر الزائد، كانت تعقد صفقاتها في الحديقة بعيداً عن عيون الخدم والمتلصصين.

بدأ فاليري بالحديث عندما استشعر قلق السيدة، فقام بتحيتها:

- مرحباً سيدة إيملين، عفواً كان لا بد لي أولاً أن أخبركِ عن وجود ضيف معي.. لكن الأمر عاجل وخطير وقد حاولت مهاتفتكِ لكني فشلت بكل أسف .غلب شعور الفضول والتوتر على وجه إيملين، لكنها كسيدة أرستقراطية لم تنسَ أبداً قواعد "الإتيكيت"، لذا رحبت بفاليري وضيفه

واستدعت خادماً ليحضر بعض المرطبات والفاكهة ثم قالت محاولة أن تخفي توترها:

- مرحباً بالسيد فاليري وضيفه، هل لي أن أعرف ما المسألة بالضبط؟

قام فاليري بشرح كل شيء وأشار لشكري أن يخرج المرآة الأثرية. زمت شفتيها وعقدت ما بين حاجبيها وتنهدت وهي تضع رجلها اليمنى فوق اليسرى ثم شبكت أصابعها وقالت:

- ومن يضمن لي أنك تريد العقد من أجل حل مشكلة ابنة ضيفك وليس من أجل شيء آخر؟

نظر فاليري لشكري ثم ثبت عينيه في عينيها وقال بزهو:

- أعرف حذركِ الشديد تجاه الغرباء، لكن يا سيدتي لا تنسي أنني ليوناردو فاليري الخبير الأثري الشهير، والذي من المؤكد حريص على سمعته أكثر من حرصكِ على القلادة الأثرية.. كما أنكِ سبق وأوكلتِ إليّ بيع مقتنيات جدتكِ وتم بالفعل تحويل ثمنها إليكِ بعد أن أخذتُ عمولتي.

ضحكت ضحكة ساخرة وألقت برأسها للوراء وقالت:

- القلادة شيء آخر فهي لا تُقدر بثمن، لذلك لم أعرضها في المزاد.

زفر فاليري زفرة إحباط ويأس وهم أن يقول شيئاً عندما تحدث شكري بعد فترة صمت منذ مجيئه:

- سيدتي.. اعذريني أنا أب مهدد بفقد ابنته، ونحن لم نأتِ لهنا من أجل خدعة أو غيرها.. وكل ما نطلبه منكِ أن تحضري القلادة لنجري تجربة بسيطة لن تسبب لكِ أي ضرر، لعلها تكون سبباً في نجاة ابنتي من خطر محتوم .

رفعت إيملين حاجبيها متعجبة وقالت:

- أوه.. إنك تتحدث الفرنسية كما لو أنك وُلدت في فرنسا! على أي حال اشرحوا لي ماذا تريدان فعله بالضبط وسأقرر وقتها إن كنت سأوافق أم لا؟

أخذ البروفيسور نفساً عميقاً وحاول أن يتحلى بالهدوء وسعة الصدر وهو يشرح لها ما ينوي فعله. أصغت السيدة لما يقول باهتمام وقالت:

- وما الضامن هنا لعدم تضرر القلادة أو تدميرها؟

انتاب شكري شعور بخيبة الأمل والانهيار، فغطى وجهه بكلتا يديه وأجهش في النحيب والبكاء، مما دفع فاليري للنهوض من مكانه وقال والانفعال يغلف صوته:

- سيدة إيملين، أتفهم تماماً تخوفكِ وحرصكِ على القلادة، وهذا أمر طبيعي ومبرر. لكن أرجو أن تتفهمي خطورة الموقف الذي تواجهه سلمى؛ حياتها على المحك بسبب هذه المرآة التي تحمل قصة مؤلمة من تاريخ عائلتكِ. مهمتنا هنا ليست صفقة بيع وشراء، بل هي محاولة يائسة لإنقاذ روح شابة من الموت.

صمت برهة، ومد يده لتناول كوب من الماء وُضع أمامه ثم أكمل:

- القلادة هي المفتاح لحل هذا اللغز وإنهاء معاناة سلمى. وبمجرد أن ننتهي من استخدامها ستعود إليكِ دون أي ضرر. أقدم لكِ كلمتي وشرفي كخبير في هذا المجال كضمان، وإذا كان هذا لا يكفي، فإن عائلة سلمى مستعدة لتقديم أي ضمان مالي أو قانوني يضمن لكِ سلامتها، وكما قلتُ لكِ سنقوم بالتجربة أمامكِ.

لم تجد السيدة إيملين كلاماً آخر لتقوله، فهزت رأسها وذهبت لإحضار القلادة. غابت السيدة قرابة عشرين دقيقة، بينما انشغل والد سلمى بمكالمة هاتفية يطمئن من خلالها على ابنته، أم فاليري فأخذ يتابعه في صمت حتى إذا ما انتهى سأله عن أحوال سلمى، فأجابه في حزن وألم أن الأطباء أخبروه بخطورة الوضع؛ فجسد سلمى لن يصمد طويلاً تحت تأثير خافض الحرارة المستمر، فقد يسبب تلفاً للكلى يدخلها في دوامة أكبر.

قطع حديثهما قدوم السيدة إيملين وهي تحمل علبة مجوهرات أثرية من خشب الصندل المطعمة بالفضة التي انطفأ بريقها بفعل الزمن. جلست في بطء مشوب بالحذر وعيناها ترقبان فاليري وشكري، ثم فتحت الصندوق لتخرج القلادة وتضعها في راحة يدها وتتأملها.

قلادة السيدة إيزابيل مصنوعة من الفضة التي ترك عليها الزمن آثاره فأفقدها بريقها، كان تصميمها بسيطاً لكن يحمل رقياً وذوقاً نادراً، يتوسطها حجر من الزبرجد الأخضر يشع ببريق نابض وكأنما يمتص الضوء من حوله ثم يعاود إرساله على شكل نبضات.

مضت لحظة صمت قبل أن يقول فاليري وهو يمد يده إلى السيدة:

- لو سمحتِ لي يا سيدتي

فهمت إيملين ما يرنو إليه، فمدت راحتها ليأخذ القلادة وكأنه يأخذ روحها. ابتلع شكري ريقه، فها هي اللحظة الحاسمة تأتي.. هل اللحظات القادمة تحمل التحرر والشفاء لابنته، أم تنهي أملاً واهياً تمسك به كما يتمسك الغريق بقشة ضعيفة في عرض المحيط؟

تحسس فاليري العقد بيديه للحظات، ثم قربه من فمه وأغمض عينيه وهو يهمس بكلمات غير مفهومة، ثم وضعه بهدوء فوق زجاج المرآة وهمس ببضع كلمات أخرى. وما هي إلا لحظات حتى اهتز سطح المرآة بعنف وتحطم ليخرج من شقوقه دخان أزرق التهمه حجر القلادة عن آخره، ثم توهج وارتعش قبل أن يسكن كل شيء. صمت الجميع لحظات قبل أن يرن هاتف الأب فتناوله في لهفة؛ كانت مكالمة من المستشفى يزف فيها الطبيب خبر تحسن مفاجئ في حالة ابنته، فحرارتها انخفضت لمعدلاتها الطبيعية رغم زوال تأثير خافض الحرارة، كما إنها بدأت في استعادة وعيها.

تمت

مدينة الذكريات المنسية

لم يكن وداع "فدوى" أمراً سهلاً على نفسه؛ لقد أدمى قلبه، وأثقل صدره، وجعل حياته بلا طعم. تساءل كثيراً كيف ستمر حياته بدونها، لكنه لم يجد جواباً. لم يوافق أهلها عليه رغم أنه ميسور الحال؛ لأنه مجهول النسب. كان يعتقد أنه إذا اجتهد وبنى نفسه سيتغاضى المجتمع عن ذلك، لكنه كان واهماً؛ فكل من يضحك في وجهه يفعل ذلك لغرض أو مصلحة. وزاد من عنائه أن فدوى زميلته في العمل، سيراها كل يوم رغماً عنه وتتلظى النار في قلبه بلا رحمة، لذا فكر جدياً في أن يترك عمله وينأى بجانبه عنها لعله ينسى.

حتى جاء يومٌ كان يتصفح فيه "يوتيوب"، فوجد إعلاناً عجيباً.. عن "مدينة الذكريات المنسية". ظن الأمر في البداية مجرد إعلانٍ تم إعداده بمهارة بمناسبة العام الجديد.. عام ٢٠٢٦. وقف المعلن في وسط مدينةٍ جميلة تبدو كالكثير من مدن العالم لكنها تختلف عنهم جميعاً، قال وهو يشير إلى بوابتها العملاقة التي تبدو من الداخل جميلة ومهيبة:

- لمن يشكو من تجربة فقدِ عزيز أو حبٍ فاشل، لمن يعاني من صدمة خيانة أخ أو صديق.. إليكم الحل.. تعالوا إلى مدينة السعادة والراحة.. مدينتنا "مدينة الذكريات المنسية".. فبمجرد عبور أسوارها ستنسى تجربتك المؤلمة إلى غير رجعة.. بل أكثر من ذلك؛ سيزول الأمر في الحقيقة من شريط حياتك وكأنه لم يكن.. إن لم تستطع تصديقي.. أقول لك: التجربة خير برهان.

أعاد الإعلان ثلاث مرات قبل أن يغلقه وهو غير مصدق. مرت لحظات قبل أن يحسم أمره ويقرر الذهاب إلى هناك. لم يستغرق الأمر غير ثلاث ساعات، قطعها بسيارته إلى منطقة "الدلتا الجديدة" على امتداد محور الضبعة. ركن سيارته وترجل.. هاله المشهد؛ لم يرَ من قبل ارتفاع أسوار مدينة بذلك العلو الذي يقارب ثلاثة طوابق، وبوابة على شكل زهرة اللوتس يتلألأ طلاؤها الذهبي في ضوء الشمس ككنز ثمين.

اقترب في حذر ودقات قلبه تدق في أذنيه كقرع الطبول حتى وصل للبوابة.. انفتحت البوابة بشكل تلقائي عندما دنا منها. دلف إلى المكان فاستقبله موظف

الأمن بزي ذهبي كبوابة المدينة، وابتسامة تعلو وجهه، وأشار له مُرحباً أن يتفضل لاستكمال إجراءات الإقامة. وقف عاصم والدهشة تعلو وجهه وقال:

- معذرة، لستُ أتذكر لماذا أنا هنا؟ لقد كنتُ في طريقي إلى شقتي في "مدينة الشيخ زايد"، هذا كل ما أذكره.

حافظ الموظف على ابتسامته الودودة وقال وهو يشير إلى مقعد فارغ:

- تفضل اجلس أستاذ عاصم.. أفهم جيداً ما تعاني منه؛ إنه أمرٍ طبيعي لأنك في "مدينة الذكريات المنسية".. ستقيم معنا شهراً كاملاً حتى يتم إعداد شريط حياتك بعد استئصال تجربتك المؤلمة، لتجنب "تأثير الفراشة" على باقي الأحداث الأخرى التي مرت بك أثناء ذلك.

نظر إليه عاصم بعدم فهم وقال في بطء:

- تجربة مؤلمة؟ لا أذكر أن مرَّ بي شيءٌ كهذا.

وضح له الموظف كل شيء بإسهاب، وصحبه إلى غرفة جميلة تطل على بحيرة اصطناعية يشبه ماؤها الفضة الذائبة.

* * * *

اقترب الدكتور سامر من عاصم الممدد على سرير الفحص في عيادة الأمراض النفسية والعصبية، وقد اتصلت برأسه الكثير من الأسلاك الممتدة حتى جهاز متوسط الحجم يشبه البطيخة الكبيرة ويومض بإضاءة تتغير بين الأخضر والأصفر. أمسك بيده يقيس نبضه حتى إذا ما انتهى قال لمساعده وهو يخرج من صدره زفرة حارة:

- تم مسح الذاكرة غير المرغوبة بنجاح .أومأ مساعده برأسه متفهماً وسأله في فضول:
- وماذا عن زرع الذاكرة البديلة؟

أجابه الدكتور سامر وهو يفصل الأسلاك عن رأس عاصم:

- سنبدأ فوراً. اجلب لي أولاً كبسولة الذاكرة البديلة رقم (٣١٢) من الأرشيف.

مرت نصف ساعة أخرى قبل أن يفتح عاصم عينيه ويتساءل أين يكون؟ أجابه الدكتور سامر والابتسامة تضيء وجهه:

- حمداً لله على سلامتك أستاذ عاصم.. أنت الآن في عيادة الأمراض النفسية والعصبية. لقد كنت تعاني من مشكلة نفسية بسيطة.. والحمد لله أنت بخير الآن وتستطيع العودة إلى منزلك.

* * * *

استيقظ عاصم مستقبلاً يوماً جديداً بنشاط، أسرع لإعداد نفسه للحاق بسيارة العمل قبل أن تمر السابعة صباحاً. وصل إلى شركته وهو يهنئ الجميع بالعام الجديد، ودلف إلى "الكافتيريا" لتناول قدح من القهوة. كانت هناك آنسة جالسة إلى الطاولة المقابلة، ترمقه بنظرات قلقة وتشرب قهوتها بيد مرتعشة. مرت دقائق قليلة وهو يبادلها نظرات متسائلة، قال محدثاً نفسه:

- "من تكون تلك الفتاة؟ ولماذا تنظر إليّ بهذه الطريقة؟".

قطع عليه أفكاره دخول "أحمد" زميله وهو يحييه ويقول للفتاة:

- فدوى.. المدير يريدكِ، أسرعي.

تمت

وباء التحرير

كانت رائحة الرطوبة والعطن تملأ المكان، تدلى نسيج عنكبوت في أركان بهو البيت. أحكم كوفيته حول فمه وأنفه وسار بحذر بخطوات مدروسة شاهراً مسدسه. سمع حركة آتية من الغرفة الداخلية فاندفع نحوها وأطلق رصاصة بحركة غريزية، لكن لم يكن هناك سوى جرذ صغير اختفى بعد أن لمحه بطرف عينيه. ابتلع ريقه وحدث نفسه قائلاً:

- "يبدو أن المكان خالٍ تماماً"

أسرع الخطى وخرج ليلتقي بباقي فرقته، فوجد أحدهم فرفع عقيرته منادياً:

- موشي.. موشي.. لا يوجد أحد هنا أيضاً.

لوح موشي بيديه وأشار له أن يأتي، فأسرع إليه قائلاً:

- لقد فحصنا حتى الآن الكثير من مساكن الفلسطينيين، هل يعقل هذا؟ لقد اختفوا جميعاً !

هز عذرا رأسه وقال متعجباً:

- لا أصدق أنهم هجروا أرضهم هذه المرة، لقد ذاقوا منا الأمرين طوال أكثر من سبعة عقود ولم يتخلوا عن أرضهم.

أتى عشرون فرداً آخرون مع قائد المجموعة الذي أمرهم بالانضمام إليهم، ثم أخرج جهاز اللاسلكي من سترته وقال وهو يشد قامته بفخر وحماسة:

- تمام يا فندم.. نتيجة الفحص الميداني.. لا يوجد أثر للفلسطينيين .

أتاه صوت القائد يشوبه التوتر:

- هل أكدتم الفحص الجوي؟ غيابهم المفاجئ هو الإشارة الحمراء التي كنا نخشاها. أين أجهزة الاستشعار؟

- لا أعتقد يا فندم، البيوت يبدو أنها مهجورة منذ شهور.

ارتفع صوت القائد بعصبية ليلقي بسؤال يعلم جيداً أنه بلا جواب:

- أين ذهبت حماس؟ أين المنظمات الأخرى؟ هذا ليس انسحاباً، بل إخلاء منظم!

* * * *

بدأت دولة الكيان تعيد إعمار غزة، تم بناء منتجعات سياحية وانتشر الكيان الصهيوني ليملأ فلسطين عن بكرة أبيها؛ فلم يعد هناك فلسطيني واحد، اختفت الجوامع وانقطع صوت الأذان.. حتى جاء يوم ..كان العمل في مستشفى أريحا يسير بروتين، لا جديد.. اللهم تردد المرضى المعتاد على المكان. وفجأة جاء مريض محمولاً على "ترولي" لقسم الطوارئ في صحبة اثنين من الممرضين. نهض الطبيب "النوباتجي" يفحصه.. عيناه بيضاوان تماماً، ينتفض جسده كمن مسه سلك كهرباء ورغاوى بيضاء تخرج من فمه. أسرع الطبيب يفحصه ويسأل المرافق عما حدث، فأجاب وهو زائغ العينين:

- لا أعرف سيدي، أخي خرج صباحاً... ولكنه رجع يشكو من إعياء وصداع، وعندما عدتُ وجدته على تلك الحالة.

صرخ الطبيب في الممرض:

- اسحب عينة دم حالاً، وأخبر المعمل أريد تحليل سموم وصورة دم كاملة.

شرع الممرض في تنفيذ أوامر الطبيب بينما دوى صوت صفارات الإنذار في المدينة كلها، وبدأت سيارات الإسعاف تتدفق. دخل طبيب برتبة من الجيش يرتدي كمامة وقناعاً بلاستيكياً، متجاهلاً الفوضى، وتوجه مباشرة نحو طبيب الطوارئ وصرخ فيه:

- ماذا تفعل؟ هل تباشر المريض بدون معدات وقاية؟ هذا وباء! تنحَّ جانباً.

ثم أصدر أوامره بتحويل كل الحالات المصابة إلى هيئة الحجر الصحي بـ "تل أبيب". لم تكن الحالات تستغرق أكثر من ساعات ثم يبدأ نزيف أسود من جميع فتحات جسم المرضى، ثم تُعلن الوفاة في غضون دقائق. الأمر الغريب أنه حتى من توخى الحذر من الأطباء وارتدى معدات وقاية، تعرض للوباء.

* * * *

تجمع قادة الحركة الفلسطينية في قاعة اجتماعات واسعة في "سيدني"، تطل على البحر مباشرة. ابتسم أبو باسل قائد الحركة للمرة الأولى منذ سنوات.. كان إلى جواره شاشة عرض عملاقة تظهر خريطة فلسطين.. وقف إلى جواره الدكتور حازم ينظر للحضور، ألقى كلمة ترحيبية ثم أشار إلى ضيفه قائلاً:

- أرحب بالدكتور حازم، عالم مصري متخصص في الهندسة البيولوجية الجزيئية.. تفضل يا دكتور.. أريد منك أن تتحدث عن سلاحك البيولوجي الجديد.
- كان هذا منذ عشرة أعوام عندما انتهجت إسرائيل سياسة التطهير العرقي تجاه أهل غزة، وتقاعس العالم العربي عن الدفاع عن أهلها بشكل يدمي القلب. وقتها أتتني فكرة مجنونة تستند إلى أن هؤلاء يحرصون على نقاء الدم، وبالتالي فإن الضفيرة الجينية لهم حتماً تحتوي على جين أو عدة جينات لا تتواجد في باقي أجناس الأرض. لذا ركزت أبحاثي الأولية على ذلك حتى توصلت إلى تلك الجينات بعد مجهود مضنٍ في بحث طويل ، تمت المقارنة فيه بين هذا العرق وباقي أجناس البشرً. أما المرحلة الثانية فقد انصبت على تخليق فيروس فتاك لا يصيب إلا من يحملون هذه الجينات. هذا الفيروس يدخل للجسم بالاستنشاق. وبعد ذلك كما تعلمون جميعاً، تم إخلاء منظم ومدروس لأهلنا لعدم لفت الأنظار، وتلا ذلك إطلاق الفيروس من خلال الطائرات المسيرة "الشبحية" لتلقي حمولاتها من الفيروس في الهواء بشكل مدروس في جميع أنحاء فلسطين المحتلة.

رفع أبو عابد يده والتوتر يشمله:

- سيدي، هناك تقرير سري وعاجل من وكالة استخباراتنا في أوروبا، أن هناك ما يقرب من نصف مليون إسرائيلي خرجوا من فلسطين قبل

إطلاق الفيروس. يبدو أن جزءاً كبيراً من القيادات والمستوطنين الأكثر ثراءً قد تلقوا إنذاراً مبكراً قبل بدء العملية.

صرخ الدكتور حازم بصدمة:

- مستحيل! السلاح سريٌّ للغاية، ربما غادروا لأسباب أخرى.

هز أبو عابد رأسه وأكمل حديثه:

- نحن نتحدث عن ما يقرب من نصف مليون شخص. هؤلاء لم يهربوا عبر القنوات العادية، لقد استغلوا علاقاتهم العالمية وقدراتهم المالية، وغادروا في دفعات سرية قبل أن نبدأ العملية. إنهم الآن يخططون لإعادة التمركز في أوروبا وأمريكا الشمالية.

سارت همهمة بين الحضور وتعالت أصواتهم تدريجياً، فأشار أبو باسل لهم بيديه حتى عاد الهدوء للقاعة ثم قال:

- نحن غايتنا لم تكن في القضاء على اليهود المتصهينين أينما وجدوا، هدفنا كان تحرير القدس وأرضنا منهم. لقد استطعنا تطهير فلسطين... ونعود إليها الآن. أما من هرب..

صمت برهة وأولى وجهه لحظة شطر البحر ثم عاد ليكمل:

- فالأرضُ الآن لنا، وعليهم أن يعلموا أنَّ الجيناتِ التي يحملونها معهم أصبحت هي نقطةَ ضعفِهم الأبدية؛ إذا ما سولت لهم أنفسُهم العودةَ من جديد

تمت

(يد العدالة)

"للحقيقةِ صوتٌ خفيٌّ، وللعدالةِ يدٌ لا تُخطئ."

قضية مقتل عم أمين

علياء

اقترب عيد زواجي فخططتُ لعمل "تورتة" بالكريمة والفواكه لكي أفاجئ بها زوجي. نزلتُ من سيارة الشركة أمام محل الحلواني مع دقات السادسة مساءً، اصطحبتُ "التورتة" وأنا أحث الخطى، لكني عندما وصلتُ لباب البناية التي أسكن فيها توقفتُ ولم أستطع أن أتقدم خطوة واحدة؛ فقد كانت هناك سيارة إسعاف تدوّي صفارتها بينما مجموعة من الجيران يتجمهرون ويتحدثون بصوتٍ عالٍ. تداخلت الكلمات لكني فهمتُ أن أحد الجيران قد قُتل أثناء وجودي في العمل، فتقدمتُ منهم وأنا أهمُّ بسؤالهم.

قطع التجمهر خروج محفة تحمل جسداً مغطى بغطاءٍ تناثرت بقع الدماء عليه. تعلقت عيوني بالمحفة بينما توشك السيارة أن تبتلعها، لكن يد الجثة تركت جانبها وتدلت بشكل مفزع قبل أن تغيب بأكملها داخل السيارة لتنطلق، بينما تخترق صفارتها تلافيف مخي. لم أبرح مكاني وغرقتُ في ذهولي، بينما اقتربت مني "مروة" جارتي التي تسكن في الشقة المقابلة لشقتي وقالت:

- أرأيتِ يا مدام علياء؟ عم أمين قُتل !

سألتُها بعدم فهم:

- عم أمين من؟ هل لدينا أحد يسكن هنا باسم أمين؟

قالت موضحة:

- عم أمين الذي يسكن في الشقة الأرضية، لقد استأجر الشقة منذ حوالي ستة أشهر.

زفرتُ نفساً احتبس في صدري طويلاً وقلتُ بنفاد صبر:

- يا مروة، أنا أغيب في شغلي طوال النهار تقريباً ولا أعرف أغلب الجيران.. لكن مَن الذي قتله؟

قلبت شفتيها وهزت كتفيها علامة على أنها لا تعلم شيئاً، ثم تركتني وعادت لجمع الجيران مرة ثانية. تحركتُ من جوارهم وصعدتُ الدرج وصداع يغلف رأسي، بينما يتملكني شعور كأن قبضة من حديد تعتصر معدتي بلا رحمة.

* * * *

عم صابر

أنا رجل على المعاش، أسكن في الدور الأرضي وأقضي أغلب أوقاتي في "الفراندة" أشاهد الرائح والغادي، أو أطعم "مشمش وزعتر"؛ القطين اللذين تتولى مدام علياء إطعامهما طعام القطط الجاف في أغلب الأحيان.

تزوج جميع أبنائي لذا أعيش مع زوجتي وحدنا. أمضي أيامي في رتابة؛ أدخن سجائري وأرتشف فنجان قهوتي المفضل، لكن صباح اليوم سمعتُ جلبة قادمة من الشقة المقابلة لي. كنتُ أعلم أن جاري الذي سكن الشقة مؤخراً يعيش وحده. حاولتُ أن أبني معه صداقة خصوصاً أنه في مثل عمري لكنه لم يرحب بي وانغلق على نفسه. تباً! لم أستطع إشباع فضولي بمعرفة قصته ولماذا يعيش وحيداً؟

لم أجد أحداً يزوره غير هذا الغامض الذي سمعته يتشاجر معه صباح اليوم. فتحتُ باب شقتي لأصغي السمع؛ كان جاري يتحدث مع الرجل الغامض بصوت مرتفع لكن لم أفهم سبب الخلاف بينهما. دفعني فضولي لأطرق الباب لكني ترددت. وبعد لحظات انفتح الباب وانطلق الرجل الغريب زائغ النظرات ليختفي قبل أن أسأله سؤالاً واحداً، تاركاً باب الشقة مفتوحاً، فدخلتُ يدفعني فضولي وأنا أفكر بماذا سأفسر لجاري سبب اقتحامي شقته بغير استئذان.

* * * *

وائل الحداد

أعمل حداداً وأمتلك محلاً للحدادة بالقرب من مسكني. أحياناً ترسل لي زوجتي مروة طعام الغداء بصحبة ابنتي الصغرى رقية، لكن عندما يكون العمل قليلاً، أتناول طعام الغداء في شقتي مع أمي وزوجتي وأولادي. اليوم أغلقتُ الورشة مبكراً وأديتُ صلاة الظهر في المسجد المجاور، ثم عدتُ أدراجي للمنزل. وما إن دلفتُ من باب البناية الحديدي حتى فوجئتُ بعم صابر يخرج من شقة عم أمين وهو يولول ويصرخ بكلمات غير مفهومة. حاولتُ تهدئته لكني لم أفلح، وعندما سألته عن سبب رعبه أشار لي لشقة عم أمين وفرائصه ترتعد. دلفتُ للداخل ففوجئتُ بعم أمين ملقى على ظهره وسط بركة من الدماء تخرج من رأسه، وقد تناثرت حوله شظايا من قطع زجاجية تلوثت بالدماء. تمالكتُ نفسي ثم أخرجتُ هاتفي الجوال من جيبي لأتصل بالشرطة.

* * * *

النقيب مصطفى شيخون

أعمل ضابطاً في قسم "الدخيلة". كنتُ أمارس عملي عندما تلقيتُ إشارة من مركز الطوارئ بوقوع جريمة قتل في منطقة "البيطاش" التابعة للقسم الذي أعمل فيه، فتوجهتُ إلى هناك مع القوة المساعدة لي لتأمين مسرح الجريمة وجمع الأدلة. وهناك تبين أن القتيل ذكر في نهاية الخمسينات من عمره، ملقى على الأرض شاخص البصر، وقد انبثقت الدماء من جرح غائر في رأسه يبدو أنه ناتج عن ارتطامه بطاولة سطحها زجاجي تحطم نتيجة لاصطدامه بها.

انتهى متخصصو رفع البصمات وجمع الأدلة من عملهما مع وصول سيارة الإسعاف لأخذ الجثة إلى مشرحة "كوم الدكة" مع دقات السادسة مساءً. مرت ثمان وأربعون ساعة حتى تلقيتُ تقرير الطبيب الشرعي؛ فضضتُ الظرف بسرعة لتدور عيناي فوق سطور التقرير. إذن هناك من دفع القتيل ليسقط على ظهره محطماً زجاج الطاولة ليلقى حتفه في الحال. كنتُ قد استدعيتُ شهود العيان على الحادث؛ راجعتُ أقوال وائل الحداد وعم صابر.. نعم، عم صابر هو الوحيد الذي رأى الجاني وحدد لي أوصافه، لم يستطع تحديد ملامحه بدقة لأنه فر هارباً

بسرعة، كل ما أدركه أنه في نهاية الأربعينات، أصلع الرأس، طويل القامة وعريض المنكبين.

لكن هذا غير كافٍ لتحديد القاتل، فلا بد من جمع تحريات أكثر عن القتيل.. من أين جاء؟ ولماذا كان يعيش وحيداً طوال الأشهر الستة التي استأجر فيها الشقة؟ مرت الأيام كأنها دهر، حصلتُ على إذن النيابة للبحث في متعلقات القتيل، وكانت المفاجأة.. بطاقته الشخصية وعقد الإيجار يوضحان اسماً آخر غير عم أمين، "عبد الرحيم مجاهد"، المهنة مدرس، متزوج ويسكن في حي إمبابة بالقاهرة. إذن الخطوة القادمة زيارة محل سكنه القديم المدون في البطاقة.

في اليوم التالي توجهتُ إلى هناك وقابلتُ زوجته وعلمتُ أنها لا تعلم شيئاً عن زوجها منذ ستة أشهر، فقد ترك لها رسالة يخبرها فيها أنه سيتغيب بعض الوقت حتى يقوم بتسوية دينه. كانت المهمة ثقيلة للغاية لأنها لم تكن تعلم بخبر مقتله. شعرتُ بدقات قلبي كأنها قرع طبول وأدركتُ أني اقتربتُ كثيراً من القاتل، فألقيتُ عليها سؤالاً جديداً عن دين زوجها، فأجابتني بعيون زائغة تملؤها الدموع:

- منذ سنتين اضطر زوجي للاستدانة من "عادل" زوج أختي مبلغ مائة ألف جنيه، لكنه لم يستطع سدادها بسبب ظروف مرض وعملية ابنتي الصغيرة، بيد أن عادلاً لم يقدر الظروف وهدده بالسجن لو لم يسدد المبلغ.

*** * * ***

عادل الشربيني

لا أعرف كيف آلت الأمور لأصبح فجأة مجرماً! لقد اختفى "عبد الرحيم" بعد أن قمتُ بتهديده بالسجن، بحثتُ عنه في كل مكان دون جدوى، فقمتُ باستئجار محقق خاص ليراقب كل فرد من أسرته لعله يجد طرف خيط يوصلني إليه، لكن دون جدوى.. حتى جاء يوم قررتُ فيه أن آخذ أسرتي لقضاء فترة الصيف في الإسكندرية بحي "البيطاش."

وبينما كنتُ في أحد مراكز التسوق وقع بصري عليه! فركتُ عيني غير مصدق، دق قلبي بعنف وأنا أراه يقف على بعد خطوات مني يتأمل رفوف الطعام لينتقي

منها ويلقي في عربة تسوقه. تركتُ ما في يدي على الفور واندفعتُ خارج المركز دون أن يلاحظني لأنتظره عند الباب الخارجي وأنا أحمد الله أنه الباب الوحيد للخروج. وضعتُ نظارة الشمس على عيني وتواريتُ خلف عمود في مدخل السوق أراقب الخارجين بصبر حتى رأيته خارجاً يحمل أكياس تسوقه، فتبعته حتى علمتُ أين يسكن، ثم أمهلته دقائق قبل أن أدلف للبناية وأطرق الباب ليفتح لي والصدمة بادية على وجهه.

حاول إغلاق الباب في وجهي لكني كنتُ مستعداً ووضعتُ قدمي لأمنعه، ثم دفعتُ الباب ووقفتُ أمامه بينما يتصبب العرق من جبينه ويلقي بالكلمات من غير ترتيب محاولاً امتصاص ثورتي عن طريق وعود قد سئمتُ منها. لم أدرِ بنفسي وأنا أدفعه للخلف بينما يعمي الغضب عيوني، ليسقط فوق زجاج الطاولة الذي تحطم ليستقر في رأسه ولتندفع الدماء كالنافورة. وقفتُ لثوانٍ كأنها دهر لا أصدق ما آلت إليه الأمور، أنا على يقين أن الشرطة لن تصدق أن ما حدث كان قتلاً خطأ لم أخطط له. فكرتُ كثيراً على مدى أسبوع ماذا أفعل؟ لكني فشلت. لم تعرف زوجتي ماذا حدث، لكنها لاحظت شرودي وعدم حماسي للذهاب للشاطئ معها.

*** * * ***

النقيب مصطفى شيخون

بعد أن توصلتُ إلى هوية القاتل، قمتُ بإبلاغ وكيل النيابة بكل ما لديَّ من تحريات وقرائن تدين عادل الشربيني، ليصدر أمراً بالضبط والإحضار؛ لكنه لم يكن في محل سكنه، وبسؤال الجيران علمنا أنه في إجازة مصيف، فقررنا انتظار عودته. وأثناء انشغالي، دخل أمين الشرطة ليقطع عليَّ حبل أفكاري، ويبلغني أن هناك شخصاً بالخارج يريد لقائي في أمر هام، فأذنتُ له؛ ليدخل عليَّ رجل طويل القامة، عريض المنكبين، أصلع الرأس.. وكان هو عادل الشربيني!

تمت

الغرفة رقم ١٣

لم تكن "نورا" تؤمن بالخرافات، ولا تعبأ بلعنات الأرقام، لكنها كانت تقف الآن أمام الباب رقم (١٣)، وكأن الزمن توقف ليختبر مدى شجاعتها. الباب صدئ، الرقم مرسوم بخط أسود متعرج كأنما كُتب بيد مرتجفة. لقد جاءت إلى هنا بسبب رسالة من والدتها الراحلة كانت قد عثرت عليها في دولاب والدتها أسفل طيات الملابس داخل ظرف قديم مكتوب عليه**" يفتح بعد موتي."**

فضت الغلاف وقرأت السطور في لهفة:

- ابنتي الحبيبة.. لم أجرؤ على مواجهتك بالحقيقة وأنا بعد على قيد الحياة.. أرجو أن تسامحيني. إذا أردتِ معرفة الحقيقة توجهي إلى العنوان المكتوب أسفل الخطاب وابحثي عن الغرفة رقم ١٣.

دفعتها العبارة إلى هذا المكان، مبنى طلابي مهجور كانت أمها تقيم فيه أيام الدراسة. فتحت الباب بعناء. صرير المعدن شقّ سكون الممر، وانفتحت الغرفة أخيراً. كانت الغرفة مضاءة بضوء خافت، تسلل إليها من خلال نافذة مهدمة. الجدران مغطاة بصور بالية تآكلت ملامحها. على يمين الغرفة سرير تعلوه طبقة من التراب بينما تسلق على الجدار نسيج عنكبوت حتى النافذة المكسورة، على يسار الغرفة دولاب ملابس معدني أكله الصدأ كما أكل باب الغرفة. في المنتصف، طاولة خشبية يحيط بها أربعة كراسي أحدهم مكسور ساقط على الأرض في إهمال.. فتحت الدولاب المعدني فوجدت في داخله صندوقاً خشبياً صغيراً مدسوساً بين بضع ملابس قديمة.

نجحت في فتح الصندوق بعد معاناة، ووجدت بداخله رسالة بخط والدتها، وصورة أشعة قديمة مع تقرير طبي. دارت عيناها بين السطور في لهفة:

-" إذا قرأتِ هذا، فاعلمي أن ما عشتهِ لم يكن سوى جزء من حياتك، فالسنوات الست الأولى من عمرك ليست موجودة في ذاكرتك بسبب حادث قديم لم تتحمله طفولتك البريئة... فقدتِ ذاكرتك وبعد ذلك تغير كل شيءأرجو أن تذهبي إلى مرسم السيدة منال، فهناك تكمن بقية الحقيقة"

انتهت الرسالة لتلقي بنورا في هوة سحيقة ليس لها نهاية، وضعت الرسالة جانباً وتناولت تقرير الأشعة وقرأت اسمها أعلاه إلى جانب تاريخ يعود إلى عشرين سنة للوراء.. حاولتْ بعناءٍ فهمَ التقريرِ فلم تفلح، فقامت بتصويره بهاتفِها الجوالِ وأرسلته إلى برنامج الذكاء الاصطناعي. ثوانٍ وحصلت على النتيجة التي لم تختلف كثيراً عما قالته أمها في رسالتها" **فقدان ذاكرة نتيجة لصدمة عصبية حادة."**

أخذت محتويات الصندوق في عجالة وألقت بها في حقيبتها وخرجت من الغرفة قاصدة مرسم السيدة منال. كان هناك ألف سؤال وسؤال يدور في رأسها، كادت الأرض أن تميد بها.. تمالكت نفسها محاولة السيطرة على مشاعرها، بينما يحدوها الأمل أن تجد إجابات أسئلتها عند السيدة منال صديقة أمها المقربة وزميلتها في الدراسة. السيدة منال.. تتذكرها جيداً، آخر مرة رأتها عندما أتت لتبارك لها نجاحها وقت التخرج، وقد أحضرت لها هدية عبارة عن رسمة جميلة لها بالفحم، لكنها لم ترها ولم تسمع عنها منذ ذلك الحين.

عندما وصلت إلى المرسم، رنت الجرس مرة ثم مرة، لكن لم تجد استجابة، ثم لاحظت وجود قفل أعلى الباب وكتلة من الشمع الأحمر. وقفت لحظات والحيرة تغلفها، وأسئلةٌ تلحُّ عليها دون أن تهتدي لإجابةٍ لأيٍّ منها:

- "ماذا أفعل الآن ؟ومن أين أبدأ؟ ولماذا هذا الشمع الأحمر؟ هل حدثت هنا جريمة سطو؟"

وبينما هي واقفة تفكر في الخطوة القادمة، سمعت وقع أقدام صاعدة المبنى، ثم ظهرت سيدة أربعينية تحمل في يدها كيساً من المشتريات، نظرت إليها بحيرة ثم سألتها:

- من أنتِ؟ وماذا تفعلين هنا؟

نورا أمطرت السيدة بوابل من الأسئلة، كانت تمثل لها قشة أمل لتصل إلى شيء من الحقيقة:

- أين السيدة منال؟ هل سافرت منذ فترة؟ هل هي مريضة؟ هل ماتت؟.. أجيبيني من فضلك أريدها في مسألة حياة أو موت".

أجابتها السيدة بطريقة سؤال بسؤال:

- من أنتِ أولاً؟ ولماذا تسألين عن القتيلة؟ أنتِ من المؤكد شريكة في الجريمة؟ لن ترحلي قبل أن أتصل بالشرطة.

أنهت جملتها ثم أحكمت قبضتها حول يد نورا ونادت على شخص ما في الأعلى بصوتٍ يخرق طبلة الأذن بلا رحمة:

- شريف.. يا شريف !

لم تستوعب نورا ما يحدث لها، حاولت التملص من السيدة، لكن الأخيرة زادت قبضتها حول يدها بشكل مؤلم بينما أتى صوت من أعلى متبوعاً بوقع أقدام هابطة حتى استقر صاحب الصوت أمامها.

- ماذا هناك يا مفيدة؟ ومن تلك الفتاة؟ "

قالت السيدة متعجلة:

- لا يوجد وقت للإجابة على أسئلتك؟ دعنا نصحبها للأعلى.

صعدوا بنورا للشقة العلوية وهي تبكي وتقاوم ثم تحدثت السيدة مفيدة مع زوجها بلهجة آمرة:

- تحفظ عليها حتى نتصل بالشرطة.

* * * *

فجأة وجدت نورا نفسها في قسم الشرطة تجلس أمام ضابط المباحث حائرة، لا تفهم ولا تصدق ما يحدث لها.. أفاقت على صوت الضابط يوجه لها الأسئلة المعتادة فأجابته قائلة:

- اسمي نورا محسن غريب.. ٢٦ سنة.. خريجة كلية التجارة كنتُ أعمل محاسبة في مكتب الأستاذ محمود عفيفي في محطة الرمل لكن منذ مرض أمي تركتُ العمل لأتفرغ لرعايتها.

- وما هو مصدر دخلكِ الآن؟
- أحصل على معاش أبي وأمي رحمهما الله.
- ما علاقتكِ بالسيدة منال؟

قصت نورا عليه كل شيء من بداية رسالة أمها حتى الغرفة رقم ١٣ مروراً بوصية أمها لها أن تذهب للسيدة منال لمعرفة حقيقة ما حدث لها، أنهت كلامها ثم أيدته بإخراجها لكل ما وجدته في الصندوق ووضعته أمام الضابط. نظر الضابط باهتمام للأشياء وتفقدها بعناية ثم نادى على معاون المباحث وأمره أن يتحفظ على الأدلة ويضمها إلى ملف القضية و عاود الحديث مع نورا:

- إذن أنتِ لم ترَ القتيلة منذ قرابة الست سنوات.. احكي لي عن والدتكِ الراحلة وكيف كانت علاقتكِ بها وهل والدكِ على قيد الحياة؟

حاولت نورا أن تتماسك فأخذت نفساً عميقاً ثم قالت:

- أبي توفي منذ كنتُ صغيرة وأمي تخرجت في كلية الفنون الجميلة، كانت تعمل مصممة للديكور في شركة كبيرة، كانت أماً حنونة حاولت بجهد أن تعوضني عن فقد الأب لكن المرض اختطفها مني في النهاية.

استمع لها الضابط باهتمام ثم ألقى سؤالاً آخر:

- احكي لي عن محيط معارف والدتكِ.
- مسقط رأس أمي محافظة طنطا، أتت إلى الإسكندرية لتدرس وأثناء دراستها تقدم لها معيد وتزوجها ثم أنجباني، لم تعد إلى بلدتِها بعد وفاة أبي. لذا كل معارف أمي لا تخرج عن الجيران وزملائها في العمل.

أنهى الضابط التحقيق مع نورا مشدداً عليها عدم التفوه بأي كلمة لكائن من كان. بينما نهضت نورا من مكانها بعد توقيعها على أقوالها. فأستوقفها الضابط قائلاً:

- لستِ في حاجة للتنبيه عليكِ بعدم السفر حتى إغلاق القضية.

أومأت برأسها وانصرفت يتبعها ألف سؤال.

* * * *

عادت نورا إلى منزلها وهي تعاني من الإجهاد وقلة النوم، كان رأسها فارغاً ولا تعرف من أين تبدأ، لكنها أدركت أنها لن تصل لشيء وجسدها منهك وعقلها يحتاج للراحة والنوم فاتجهت إلى سريرها وألقت بجسدها فوقه، فلم تكن إلا لحظات وسقطت في سباتٍ عميق.

فتحت عينيها ومدت يدها إلى هاتفها لتعرف الوقت فإذا بشاشته تعلن عن السابعة. تساءلت لقد نامت أمس في الساعة الثانية عشرة ليلاً، لماذا تشعر أنها نامت فترة طويلة جداً، توجهت للنافذة لتحرك ستارتها الثقيلة جانباً متوقعة ضوء شروق الشمس لكنها فوجئت بالغروب، فأدركت أنها نامت طوال النهار. توجهت للحمام لتغتسل ثم خرجت لتعد لها فنجان من القهوة.

جلست تحتسي الفنجان وتقضم بضع قطع من البسكويت وهي تراجع أحداث يوم أمس، كررت على نفسها ذات السؤال، ما الخطوة القادمة؟ هل تنتظر تحقيقات النيابة؟ أم تتحرك للبحث عن الحقيقة بنفسها؟ لكن السؤال الأهم ماذا تفعل وقد انطفأ أملها بموت السيدة منال.. فجأة لمع في رأسها شيء فمدت يدها لهاتفها وفتحت آخر صورة التقطتها عدسته.. صورة تقرير الأشعة وفي أعلى الصورة على اليسار شعار المستشفى التابع لها معمل الأشعة.. فلتذهب هناك غداً صباحاً لعلها تهتدي لشيء.

* * * *

في اليوم التالي ومع دقات الثامنة صباحاً، توجهت نورا إلى المستشفى، كان المكان يعج بالبشر، اقتربت من موظفة الاستقبال، سيدة خمسينية بوجه متجهم بعض الشيء ونظارة تنزلق على طرف أنفها. ألقت عليها التحية وسألتها عن الأرشيف ثم توجهت إلى هناك، وجدت موظفة ثلاثينية هذه المرة، تمسك بيدها قطعة من التريكو تنسجها، بادرتها نورا بالتحية :

- مساء الخير، لو سمحتِ... هل تحتفظ المستشفى بملفات المرضى لعام ٢٠٠٤؟

رفعت الموظفة نظرها بتثاقل وضيق قائلة :

- هذا يعود لنوع الملف المطلوب، هناك ملفات يتم إعدامها بعد فترة، وأخرى يتم الاحتفاظ بها، لو كانت حالات بحثية أو خطيرة... لما السؤال؟

نظرت نورا في عينيها ثم همست كأنها تخشى أن يسمعها أحد:

- كنتُ مريضةً هنا منذ عشرين عاماً.

ألقت جملتها ثم أخرجت هاتفها وأظهرت التقرير للموظفة .تجمدت ملامح الموظفة لوهلة، قبل أن تنظر إلى شاشة الحاسوب، وتبدأ في النقر ببطء. سادت لحظة صمت... ثم قالت:

- يوجد ملف بالفعل لحالتكِ، لأنها كانت تعتبر حالة بحثية.

انفرجت أسارير نورا فرحاً وشعرت أنها تسير في الطريق الصحيح فسألت متلهفة:

- لماذا حالتي كانت حالة بحثية؟
- لأنها من أوائل الحالات التي يتم فيها زرع ذاكرة بديلة منعاً لرجوع الذاكرة الأصلية .

عقدت نورا حاجبيها وقالت في اهتمام:

- ذاكرة بديلة!! لماذا تم زرع ذاكرة بديلة لي؟

زفرت الموظفة أنفاسها متململة وقالت لتنهي الحديث:

- لأنكِ كنتِ تعانين من صدمة عصبية حادة.. اذهبي لإحضار طلب رسمي من أعلى ولا تنسي طابع الدمغة وصورة البطاقة لكي تتسلمي نسخة من ملفكِ المرضي.

* * * *

عادت نورا إلى منزلها تحتضن ملفها المرضي ككنز ثمين، ألقت بجسدها على إحدى الأرائك في ردهة المنزل وأخذت تفحص الملف بعناية. نسخة من صورة أشعتها مرفق بها التقرير . تقرير مذيل بتوقيع أمها بموافقتها على تجربة زرع ذاكرة جديدة لها .تحاليل دم . مستند إعادة التأهيل الإدراكي ويحمل مرفقات (تقرير نفسي وعصبي يوضح تفاصيل بقائها تحت الملاحظة فترة في المستشفى . سجل الملاحظات الإكلينيكية يوضح تفاصيل بقائها تحت الملاحظة فترة . خطة تأهيل معرفي يشمل برنامج إعادة بناء ذاكرة جديدة).

نهضت من جلستها وتوجهت لأقرب مكتبة تصوير أوراق لنسخ الملف ثم عادت أدراجها للمنزل لتحتفظ بالملف الأصلي قبل أن تتوجه لقسم الشرطة، وهناك طلبت من أمين الشرطة الإذن لها بمقابلة ضابط المباحث ناجي سليم.

دلفت إلى حجرته ثم جلست قبالته بعد أن ألقت التحية، فرحب بها وسألها عن سبب حضورها اليوم، فقصت عليه رحلتها أمس إلى المستشفى الصادر منها تقرير أشعتها ثم أخرجت من حقيبتها نسخة من ملف علاجها، تناوله منها وابتسم وقال مازحاً:

- ما هذا؟ هل تعملين الآن في إدارة المباحث والتحريات؟

لم تلتفت لمزاحه وقالت في لهجة جادة:

- من واجبي مساعدتكم متى تيسر لي ذلك.. لكني أريد أن أفهم ما سبب الصدمة العصبية التي على أثرها فقدتُ ذاكرتي؟

تغيرت ملامحه للجدية وقال:

- لأنكِ شهدتِ على مقتل أبيكِ. لقد كانت قضية كبيرة وقتها جاءت في الصفحة الأولى لجريدة الحوادث وقيدت ضد مجهول.

نزلت الجملة على نورا نزول الصاعقة فألجمت لسانها، فابتلعت ريقها وتحجرت الدموع في عينيها ، بينما أكمل الضابط حديثه قائلاً:

- آسف لأني سببتُ لكِ صدمة جديدة، كان يجب أن تعرفي أنكِ شاهدة على قضية مقتل والدكِ، سأقوم الآن برفع مذكرة للنيابة لطلب إعادة فتح التحقيق في هذه القضية، خصوصاً بعد ظهور أدلة جديدة

حاولت نورا تمالك نفسها وقالت بصوت مرتعش من بين دموعها:

- أبي مات مقتولاً، كنتُ أعتقد أنه كان مريضاً، لا بد أن أعرف من قتله؟.. لكن ما هي الأدلة الجديدة؟
- نحن نشك في أن السيدة منال قتلت بسبب أنها كانت تعلم شيئاً عن جريمة مقتل والدكِ، ثمة رابط بين الجريمتين. وكذلك الأدلة التي عثرتِ عليها في الغرفة رقم ١٣ وقدمتها لنا.
- وما المطلوب مني حتى ينال قاتل أبي جزاءه؟

أجابها وهو ينهي الحديث معها:

- لا شيء، ولا تأتي إلى القسم مرة أخرى، أنتِ الآن شاهدة أساسية في القضية الأولى وأخاف أن تتعرضي للخطر فقد تكونين تحت رقابة القاتل الآن. وهاكِ رقم هاتفي الخاص إذا أردتِ أن تقولي لي شيئاً جديداً اتصلي بي.

انهمرت الدموع من عيني نورا وقالت بصوت مرتعش:

- لم أعد أخاف من الموت بعد فقدي لأبي وأمي.
- لكن يهمكِ أن نقبض على قاتل أبيكِ.

نهضت من مكانها وهي تقاوم شعوراً قوياً بالدوار، لكنَّ قدميها خذلتاها في النهاية، فهوتْ مغشياً عليها. صرخ ضابط المباحث في معاونه ليستدعي عربة الإسعاف لتنقل نورا إلى أقرب مستشفى تابعة لمنطقة القسم. وهناك قام بتعيين حارس على غرفتها وأوصى بطبيب نفسي لمتابعة حالتها.

* * * *

بدأت نورا في استعادة وعيها بشكل تدريجي وتساءلت:

- أين أنا؟

أجابتها الممرضة المرافقة لها في الحجرة:

- أنتِ في المستشفى، فقد أتيتِ إلينا فاقدة للوعي منذ يومين

أنهت جملتها ثم تناولت هاتفها لتبلغ الطبيب النفسي أن نورا قد استعادت وعيها ، فهرع إليها في الحال.

جذب الطبيب كرسياً وجلس إلى جوار سرير نورا ثم وجه حديثه للممرضة لتغيير خطة العلاج الخاص بها وأكمل في اهتمام:

- لا تبرحي هذه الغرفة حتى أبلغكِ، نورا شاهدة إثبات في قضية قتل. هل فهمتِ؟

ردت الممرضة معترضة :

- لكن هناك حارس على الباب.

أجابها في حدة :

- نفذي ما أمرتكِ به ولا تركني لوجود حارس في الخارج، فمن الممكن أن ينتحل أحدهم صفة أحد من الطاقم الطبي ويسمح له الحارس بالدخول. اذهبي لإحضار الخطة الجديدة للعلاج ولن أبرح مكاني حتى تعودي.

أومأت برأسها وانصرفت بينما توجه إلى نورا بالحديث:

- كيف حالكِ الآن؟
- أشعر بشيء من التشويش، رأيتُ حلماً وأشعر أنني قد عشته من قبل .

أمسك الطبيب دفتر ملاحظاته وطلب من نورا أن تروي له على مهل ما رأته في حلمها.

- رأيتُ نفسي طفلة صغيرة أجلس مع أبي وهو يلاطفني ويلعب معي؟
- ما اللعبة التي كان يلعبها معكِ؟

- الغميضة.. كان يقول لي عليّ أن أختبئ وهو سيخرج من الغرفة لدقائق وعندما يعود يجب أن أكون قد اختبأت، لكنه لم يعد.. انتظرتُ وانتظرتُ لكنه لم يعد ورأيتني أبكي ثم أفقتُ الآن.

خيم الصمت على الطبيب، وبدت عيناه كأنما تطاردان خيوطاً غير مرئية في ذاكرتها، وكأنه ينسج من كلماتها المبعثرة صورة كاملة للماضي، قبل أن يقول بنبرة هادئة:

- أعتقد ما رأيتِ قد تكون ذكرى ما قبل مقتل أبيكِ.. على أي حال لقد غيرتُ لكِ خطة العلاج وسوف يساعدكِ هذا على استعادة ذاكرتكِ بإذن الله... المهم الآن أن تلتزمي بالعلاج وتخبريني أولاً بأول عن أي شيء تحلمين به أو يومض في رأسكِ.

أومأت برأسها في وهن وقالت :

- حاضر.. أعدكَ بذلك.

دخلت الممرضة بهدوء، تدفع عربة صغيرة تحوي صينية غداء وصندوقاً به خطة علاج نورا، وضعت الصينية بعناية على طاولة صغيرة متحركة نصبتها أمام نورا وهي تقول بابتسامة هادئة:

- وقت الدواء والطعام، يا آنسة نورا... ؟

نظرت نورا إلى صينية الطعام التي وُضعت أمامها، واتسعت عيناها عن آخرهما، ثم قفزت من سريرها كمن لدغه عقرب وهي تصرخ صرخةً مدوية، قبل أن تسقط مغشيًا عليها. كان الطبيب النفسي يوشك على ترك الحجرة عندما حدث كل شيء بسرعة وانتهى الأمر بنورا وهي ممددة على الأرض فاقدة للوعي، فهرع هو والممرضة لحملها وإعادتها إلى فراشها.

* * * *

جلس ضابط المباحث ناجي سليم على مكتبه يتصفح ملف جريمة قتل والد نورا بعد أن وافقت النيابة على فتح القضية من جديد عندما دخل عليه معاون المباحث متحمساً وقطع عليه حبل أفكاره:

- سيدي. هناك أمر هام يجب إبلاغك به فوراً.

رفع ناجي رأسه وقال يستحثه على الحديث:

- ماذا هناك يا هاني تحدث بسرعة.
- الشاهدة "نورا محسن" يا فندم، فقدت الوعي مرة ثانية بعد أن أفاقت بدقائق قليلة.

ضرب ناجي مكتبه بقبضة يده اليمنى وقال بنفاد صبر:

- اذكر التفاصيل يا هاني ولا تعطني المعلومات قطرة تلو أخرى.

قال المعاون مدافعاً عن نفسه :

- يا فندم.. هذا ما أبلغه الطبيب المعالج عن الشاهدة ولم يقل أكثر من ذلك.

ساد صمت قصير، قبل أن يأمر ناجي بانصراف المعاون، ثم نهض وأخذ يقطع الغرفة ذهاباً وإياباً قبل أن يتناول هاتفه ويتصل بحارس غرفة نورا ليقوم بتوصيله بالطبيب المعالج ليفهم ما حدث، وعندما علم بأمر الوجبة التي قدمت للشاهدة قبيل فقدانها للوعي، أمر بتحضير وجبة شبيهة لها بكل دقة ثم تصويرها وإرسال الصورة له.

عاد الضابط لينخرط في فحص ملف قضية قتل والد نورا، مد يده إلى الملف العتيق، الغلاف أصفر ترك عليه الزمن آثاره وقد كتب عليه بقلم غليظ ***"قضية مقتل دكتور محسن غريب"*** ***فلوماستر*** . كانت ملابسات الحادث تدور حول وصول الزوجة من العمل لتجد زوجها مسجى على الأرض والدم يملأ الغرفة، أما نورا كانت فاقدة للوعي خلف باب غرفة النوم وقد ارتطمت رأسها بالأرضية الرخامية. ولم تكن هناك علامات مقاومة ولا اقتحام للشقة مما يدل أن المجني عليه فتح الباب للقاتل بكامل إرادته.

مرر الضابط يده على صورة القتيل وهو ممدد شاخص البصر وبركة دماء تحيط به وهو يتأمل تفاصيل الصورة. قاطعه صوت تنبيه هاتفه بوصول رسالة واتس آب. أعاد الصورة للملف وتناول الهاتف على عجالة وفتح الرسالة.. كانت صورة وجبة مكونة من طبق شوربة وطبق أرز وفخذ دجاجة وبرتقالة وسكين

فاكهة. ترك الهاتف والأفكار تتسابق إلى رأسه.. راجع مكونات الصورة ثم توقف بصره على سكين الفاكهة ذات النصل الأبيض والمقبض العاجي.. شعر أنه قد رآها من قبل، ثم لمعت في رأسه صورة سلاح الجريمة في القضية التي كان يطالعها منذ قليل، فعاود فتح الملف وتوقف عند صورة السكين الذي قُتل به والد نورا وقد كُتب تحت الصورة بخط بشري (سكين فاكهة بنصل أبيض ومقبض عاجي.)

* * * *

جلس الطبيب جوار سرير نورا يراقب علاماتها الحيوية، عندما لاحظ نشاط مخها ينبئ بقرب استعادتها لوعيها بينما دخلت الممرضة وهي تدفع بيدها تروللي العناية والأدوية حتى استقرت جوار الطبيب وهمت بالحديث عندما أشار إليها أن تصمت. بينما انتفض جسد نورا وفتحت عينيها التي انسابت منها دموع ساخنة وهي تصرخ:

- بابا.. بابا.. المجرم قتله.. المجرم قتله.

أخيراً تحررت الذاكرة التي تم سجنها لعشرين سنة. وعادت تطفو على سطح وعي نورا. قام الطبيب بتوجيه الممرضة لحقن نورا بحقنة مهدئة وما هي إلا سويعات قليلة وحضر ضابط المباحث لأخذ أقوال نورا لتتم حل الأحجية شيئاً فشيئاً. توارت الحقيقة لسنوات لكن الله أذن بانبلاج شمسها ليعود الحق لأهله وليدفع كل آثم ثمن جريمته.

لم تستطع نورا رؤية القاتل بشكل واضح من خلال ثقب الباب، فقط تتذكر شجاراً عنيفاً ينتهي بلحظة تناول يد القاتل سكين الفاكهة التي طالما قطع لها والدها بها ثمار التفاح والبرتقال ليغرسها في صدر أبيها، لتكتم فمها بشكل غريزي حتى لا يبدر منها صوت يجذب انتباه القاتل لها. لم تتحمل طفولتها البريئة هول ما رأت فسقطت مغشياً عليها.

قبل أن تفقد وعيها كانت الرؤية مشوشة، والضوء خافتاً... لكن عيني نورا الصغيرة، رغم خوفها، علقتا بتفصيلة واحدة لم تُنسَ. عندما ارتفعت اليد القاتلة، وهي تُمسك بسكين الفاكهة، انحسر كمّ القميص قليلاً، كاشفاً عن ساعدٍ مشدود. وهناك على الجلد، كان الوشم. وردة حمراء، داكنة، أشبه بجرح حي، تتفتح وسط

دوامة من أوراق سوداء ملتفة. لحظة واحدة فقط، لكنها طُبعت في ذاكرتها التي تم تمويهها لعشرين عاماً.

أخيراً تم حل اللغز.. لم يكن مقتل والدها حادثاً غامضاً كما ظنّ الجميع. الآن، وقد نطقت نورا بالحقيقة، تغيّر كل شيء. الماضي لم يعد ميتاً. إنه ينبض، ويطالب بالعدالة. أما نورا فلم تعد ضحية، بل الشاهد الوحيد في قضية قيدت لمجهول لمدة عشرين سنة.

* * * *

كان وشم الوردة مفتاح اللغز ولم يمضِ اليوم حتى تم إلقاء القبض على القاتل .لم يكن هذا الوشم مجرد رسم، بل كان خيطاً يمتد لثلاثين عاماً... حيث كانت فدوى، والدة نورا، فتاةً في ربيع عمرها، تخطو خطواتها الأولى في عالم لم يكن يتسع لكل أحلامها. طالبة هادئة، رقيقة الملامح، تدرس في كلية الفنون الجميلة، تحمل في يدها فرشاة، وفي قلبها آمال عريضة. كانت تعشق الرسم كما تعشق الحياة، لفتت نظر دكتور محسن غريب الذي يكبرها بعشرة أعوام كاملة، كان يُدرس لها فن التصوير الجداري.. أُعجب بها وبرقتها، ولم يكن يعلمُ أنَّ هناك فتاةً تُدعى منال، تهيمُ به حُبّاً وتحلمُ بالزواجِ منه. بيدَ أنَّ زميلاً لها يُدعى "هاشم سعيد" كان يحبها بجموح، ويبذلُ محاولاتٍ مستميتةً للفتِ انتباهِها، لكنها لم تكن تراه؛ فقد كانت غارقةً حتى أذنيها في عشقِ الدكتور محسن.

وقبيلَ نهايةِ العامِ الأولِ في كليةِ الفنونِ الجميلة، انطفأ أملُها وانكسرَ قلبُها؛ حين أتت إليها صديقتُها فدوى والفرحةُ تزغردُ على وجهِها، لتخبرَها في سعادةٍ أنَّ الدكتورَ محسن قد أسرَّ إليها بنيتِه في التقدمِ لخطبتِها عقبَ انتهاءِ امتحاناتِ نهايةِ العام. مادت الأرض تحت أقدام منال، لكنها تحاملت على نفسها ورسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة لتهنئ صديقتها بالخطبة. مر عام وهي تحاول قتل حبها للدكتور محسن لكنها لم تفلح ففكرت أن تستجيب لإلحاح هاشم ووافقت على الارتباط به لعلها تفلح في نسيان محسن.

وانتهت السنوات الخمس سريعاً وتخرجت فدوى ومنال وأصبح لكل منهما حياة أسرية مستقلة. فدوى تزوجت دكتور محسن ورزقت منه بعد عشرة أشهر بطفلة جميلة رقيقة تشبه أمها في ملامحها بينما أخذت من أبيها طول قامته وخمرية بشرته. كانت حياتهما سعيدة مستقرة بينما منال وهاشم على النقيض تماماً. كان

هاشم حاد الطباع شديد الغيرة، يستشيط غضباً من أتفه الأسباب، بينما منال على العكس تماماً، هادئة، واثقة في نفسها، سهلة الإرضاء، عاقلة لا تُستفز بسهولة.. ولأنه اختيارها لم يكن أمامها من سبيل إلا الصبر.. مرت خمسة أعوام على زواجهما ولم تنجب، بل لم تحاول البحث عن السبب عند الأطباء كما لو أنها لا ترغب في قرارة نفسها في طفل يربطها به.. كان يغير من محسن على زوجته لأنه يعلم بحبها القديم له، وكان لا يكف عن الشجار معها كلما زارت فدوى في بيتها أو حتى حينما تزورها فدوى في مرسمها.

حتى جاء يومٌ، بدأ فيه هاشمٌ الشجارَ مع زوجته كالعادة، محاولاً إثناءَها عن الذهابِ لحفلةِ عيدِ ميلادِ الصغيرةِ نورا. حاولت منالُ تهدئتَه وإقناعَه أنَّ ما يفكرُ فيه وهْمٌ؛ فمحسنٌ بالنسبة لها مجردُ حبٍّ قديم طُويتْ صفحتُه منذ تزوجتْه، ولكنه لم يصدقها. ولأنه شخصيةٌ اندفاعيةٌ لا تحسبُ لمواضعِ خطواتِها، قرر فجأةً الذهابَ إلى محسنٍ وزوجتِه ليحذرَهما من الاقترابِ من زوجته مرةً أخرى، بل ليأمرَهما بقطعِ علاقتهما بها بشكلٍ نهائي. لم يفكرْ أن الوقتَ باكرٌ، وأن محسناً وفدوى لابد أن يكونا في عملِهما الآن؛ فنارُ غضبه أعمتْ بصيرتَه عن التفكيرِ السليم.

لكنَّ الأقدارَ شاءت شيئاً آخر؛ فقد بقي محسنٌ في البيتِ لشعوره بوعكةٍ خفيفة، وكأنَّ مصيرَه المحتومَ جعل هذا اليومَ هو الأخيرَ في حياته. كان يلعبُ (الغميضة) مع طفلته نورا، وتركها في غرفةِ النومِ ليمنحَها مجالاً للاختباء، حين قاطعه صوتُ جرسِ الباب المتلاحق. وما هي إلا لحظاتٌ حتى اندفع هاشمٌ كطلقةِ مدفعٍ للداخل، واشتبكَ في معركةٍ كلاميةٍ مع الدكتور محسن انتهت بمقتلِ الأخير، بينما ترقبتْ ما حدث عينا نورا، لتسجلَ كلَّ ما رأته، فينزلقَ في مكانٍ بعيدٍ من ذاكرتها، ويظلَّ حبيساً هناك لعشرينَ سنةً تالية.

* * * *

عندما سقط الدكتور محسن مضرجاً في دمائه، أفاق هاشم من لحظة جنونه وأدرك فداحة ما فعل لكن بعد فوات الأوان.. دفعه خوفه من السقوط في أيدي العدالة لمسح بصماته عن أداة الجريمة بمنديل ورقي، لكنه أخطأ عندما ترك السكين جوار الجثة وفر هارباً. عاد إلى زوجته ممتقع الوجه، يتفصد العرق من جبينه، بينما رشة دماء تلوث قميصه. فزعت منال من منظر زوجها وقبل أن تفتح فمها لتسأله عما حدث له، اعترف لها بكل شيء، وتوعدها إن أدلت بكلمة تشير إليه ستكون الجثة التالية.

خضعت للتحقيق هي وزوجها لكن الشرطة لم تهتدِ للفاعل الحقيقي.. حاولت الشرطة استجواب الطفلة حينئذ لكن الطبيب المعالج لم يسمح بذلك لأن الطفلة مصابة بصدمة عصبية حادة أفقدتها الذاكرة.. وبدافع حب الأم لابنتها قررت فدوى منع ذلك للأبد عن طريق السعي لزرع ذاكرة بديلة لطفلتها، رغم أن ذلك سيدفع بالجاني بعيداً عن أيدي العدالة.. لكنها لم تفكر إلا في مصلحة ابنتها نورا.

وبعد مرور عشرين عاماً عانت فدوى من مرض عضال وأيقنت من دنو أجلها، فأرادت أن تعترف لابنتها بكل شيء لكنها خافت من مواجهتها، خافت أن تتهمها في التفريط في دم أبيها ومنعها من الشهادة ضد قاتله. فقامت بإرشاد نورا لتعرف الحقيقة بعد موتها من صديقتها منال التي كانت شاهدة على قصة زرع ذاكرة بديلة لابنتها.

لم تكن منال تعلم أنها ستكون الجثة التالية بعد عشرين سنة من تهديد زوجها لها لأول مرة، في نوبة غضب وجنون جديدة.. فقد سئمت منه وثقلت نفسها ولم تعد تطيق وجوده في حياتها فهددته هي هذه المرة إن لم يطلقها ويغرب عن وجهها ستبلغ عنه الشرطة وعندما حذرها أنها ستلقى هي الأخرى عقاباً لأنها تسترت على قاتل، أجابته أنها مستعدة أن تفعل أي شيء نظير الخلاص منه، فانقض عليها وأحاط رقبتها بكلتا يديه، كما ينقض العُقاب على فريسته وينشب مخالبه فيها، فلم يدرِ بنفسه إلا وزوجته جثة هامدة شاخصة البصر، فمها مفتوح كأنه يستعد لصرخة لن تخرج أبداً.

تمت

خلف سماعة الطبيب

جزء أول :عيادة تحت الجباية

انتصفَ الليل، بينما كنتُ أمارسُ عملي كطبيبِ أطفالٍ في عيادتي ..كانت العيادةُ مزدحمةً اليوم، فلا يكاد يطلُّ الصيفُ بوجهه حتى يتزايدَ معدلُ الأمراضِ بعد أن تنشطَ البكتيريا والفيروساتُ لتؤدي عملَها بنشاطٍ ملحوظ. كان الإعياءُ يسيطرُ عليّ، بينما يتوعدني سلطانُ النوم أن أطيعَ أوامرَه.. لكني لم ألتفت وقررتُ التركيزَ مع كشفي الأخير.

أخيراً انتهيتُ من عملي، نهضتُ من مكاني وأنا أشعر بدوارٍ يلفُّ رأسي مع صداعٍ نابض. ناديتُ على مساعدي "شكري" لأبلغه أني سأنصرف، وعلمتُ منه أنَّ طبيبَ الأسنان سينصرفُ بعد أن ينهي آخرَ كشفٍ معه، أما باقي الأطباء فقد انصرفوا بالفعل. طلبتُ منه أن يغلقَ العيادة جيداً بعد انصراف "عصام" طبيب الأسنان. حملتُ حقيبتي وقدماي بالكاد تحملانني وأنا أكادُ أفقدُ الوعي من التعبِ وقلةِ النوم.

سرتُ في طريقي نحو بابِ عيادتي عندما استوقفني رنينُ هاتفي الجوال.. كان الدكتور "سعيد" صديقي يطلب مني الانتظار دقيقتين لأنه في طريقه للعيادة الآن. جلستُ في ردهة العيادة متأففاً والتعبُ يكاد يقتلني.. لم أدرِ بنفسي إلا وشخصٌ يهزُّ جسدي بعنف وصوتُه يأتي من بعيد. فتحتُ عينيّ بتثاقل لأجد "شكري" يبلغني أن دكتور عصام قد انصرف، وأنه أيضاً يريد العودة إلى بيته. نظرتُ إليه بعينين نصفِ مغمضتين وهززتُ رأسي بتثاقل. نظرتُ إلى هاتفي لأجدها الواحدة بعد منتصف الليل، "أين دكتور سعيد؟ ألم يقل إنه سيأتي بعد دقيقتين؟" هكذا حدثتُ نفسي وأنا أنهضُ بتثاقل عندما وجدته أمامي، قال وهو يمد لي يده بمبلغ من المال:

- دكتور محمود، آسف، كنتُ قادماً إليك ولكن أخرني كشفٌ مستعجل.

نظرتُ إليه بغضب وقلتُ له والتعب يقتلني:

- هل ضاقت بك الدنيا لتطلبَ رؤيتي الآن في هذا الوقت بالذات؟

ابتسم ابتسامةً مستفزة وهو يضع رزمةَ المال في يدي قائلاً:

- آسف، لن آخذ من وقتك الكثير.. هاك خمسة آلاف جنيه .

تدلى فكي الأسفل ونظرتُ له وأنا لا أفهم شيئاً، فأكمل:

- ألا تذكر سريرَ الكشف الذي اشتريته منك منذ ستة أشهر؟

قلتُ له وقد طار النوم من عيني وأنا أضغط على أسناني:

- ويلك! وهل انتظرتَ كلَّ هذه المدة لتعيد لي أموالي ولم تستطع الانتظار حتى صباح الغد؟

قال لي ولا تزالُ ابتسامتُه اللزجةُ لم تفارق وجهه:

- أكرر أسفي.. لكني مسافرٌ إلى نيويورك في العاشرة صباح الغد، وكان لا بد أن أنهي جميعَ أموري المالية قبل السفر.. إلى اللقاء.

تركني وانصرف.. شخصٌ مستفز، كان يستطيع أن يعطيني مالي أمس، ولو ضاقت به السبل لكان بإمكانه إرسال المبلغ عبر أي من تطبيقات التحويل.. لم أكن في حالةٍ تسمح لي بسؤاله عن سبب سفره المفاجئ، فقد بلغ بي الإرهاقُ مداه. وضعتُ المبلغ في درج الإيرادات وعدتُ أدراجي إلى منزلي، وأنا أحمدُ الله أنه في الجهة المقابلة من عيادتي. استقبلتني زوجتي كعادتها بجملتها التي ألفتها أذناي:

- لماذا تأخرت؟ لقد اقتربت الساعةُ من الثانية صباحاً و...

قاطعتها بوضع يدي اليمنى على فمها وأنا أنظر إليها بجفونٍ ثقيلة وعيونٍ حمراء، وسبابة يدي اليسرى فوق فمي:

- شششش.. لنتحدث في الغد.. اعتبريني شخصاً ميتاً.

تركتُ حقيبتي وخلعتُ حذائي.. لا أذكر أين؟ لكني أتذكر ابنتي الصغيرة النائمة فوق أريكة الردهة، فحملتها وطبعتُ قبلةً فوق جبينها، ثم نقلتها إلى غرفتها وصوتُ زوجتي يأتي من خلفي وكأنه قادمٌ من قاعِ بئرٍ سحيقة.

* * * *

لا أعرف كم مضى من الوقت وأنا نائمٌ بجوار ابنتي بملابسي، شعرتُ بزلزالٍ عنيف.. الأرضُ تتشقق على بعد خطوات مني لتكشف عن هوةٍ عميقة وصوتٌ آتٍ من بعيد: "انهض.. انهض"، ثم شهقتُ كأنني ألتهم الهواء دفعةً واحدة والعرق يتصبب من جبيني يحرق عيني. تنبهتُ لزوجتي وهي تهزُّ جسدي، وأصوات خبطاتٍ عالية قادمة من باب الشقة مصحوبة برنين الجرس.. جلستُ في سرير طفلتي، والصداع ينبضُ بإلحاح على جانبي رأسي وزوجتي تصرخ:

- يا محمود انهض.. من المؤكد أن هناك كارثة.. اذهب لترى من بالباب!

لم أنتظر حتى تنهي جملتها، ذهبتُ وأنا أترنحُ كالسكارى وأرتكزُ على الأثاث حتى لا أقع. فتحتُ الباب.. كان بواب العمارة الكائنة فيها عيادتي، وقد ربط رأسه بقطعة قماشٍ لوثها الدم، وفي صحبته دكتور عصام.. كانا واقفين وعلى وجهيهما رُسِمت كارثةٌ بالألوان الطبيعية. قلتُ لهما وقلبي يدقُّ كالطبل وألفُ احتمالٍ سوداوي يدور في رأسي:

- ما الذي حدث؟

أجابني البواب بمقدمةٍ سخيفة عن أسفه لمجيئه في مثل هذا الوقت، قاطعته متهكماً:

- قل ماذا حدث على الفور؟ من المؤكد أنك لم تأتِ إليّ لتقترضَ مالاً!

ابتلع ريقه وقبل أن ينطق قاطعه عصام:

- العيادةُ سُرِقت يا دكتور. حاول عم منتصر أن يتصل بك لكنك لم ترد، فهاتفني ليخبرني ، فجئنا إليك في الحال.

يبدو أن الراحةَ والنوم أصبحا مطلباً عزيزاً يصعبُ الحصولُ عليه مؤخراً.. هبطتُ الدرج معهم، وصوتُ زوجتي يأتي من خلفي راجياً أن أطمئنها. كان الباب الخارجي للعيادة مزلاجه مكسور.. دلفتُ إلى الداخل وعصام ومنتصر من خلفي. وجدتُ كومةً من المتعلقات موضوعةً بإهمال على مكتب شكري. دخلتُ حجرة مكتبي.. الدرجُ مكسور، وقد اختفى إيرادُ أمس وكذلك المال الذي أخذته من سعيد. كانت عادتي أن آخذ الإيراد يومياً، لكن يوم أمس لم يكن عقلي يفكر بشكل جيد.

المنطقةُ الكائنةُ بها عيادتي تحوي "أكشاكاً" من الصفيح يسكنها مجموعةٌ من اللصوص.. وكنتُ دائماً آخذ حذري، فلا أترك مبلغاً كبيراً إلا وأودعه في حسابي البنكي. أفقتُ على صوت عصام:

- لا بد أن نبلغَ الشرطة.

نظرتُ إلى البواب وأنا أشير إلى عصام أن يصمت وسألته:

- ماذا حدث بالضبط وكيف اكتشفتَ السرقة؟

قال وهو يتحسس رأسه بألم:

- كنتُ أجلس في غرفتي كالعادة أشاهد التلفاز عندما سمعتُ جلبةً قادمة من عيادتك.. ظننتُ أنك لا تزال هناك، لكن الشكَّ نما في قلبي فخرجتُ وصعدتُ، وما إن دلفتُ من الباب حتى فوجئتُ بلصٍ يقف في منتصف الردهة وقد غطى وجهه بجوربٍ نسائي، وفور رؤيتي هجم عليّ وهوى فوق رأسي بشيءٍ لم أتبينه، سقطتُ أرضاً ولم أدرِ بنفسي إلا في السادسة صباحاً.

قلتُ وأنا أتجول في العيادة لأحصي الخسائر:

- إذن لم تتعرف على اللص .

قال عصام وهو يتبعني:

- ومن يكون سواهم؟ ساكنو الأكشاك.. كل عمليات السرقة والبلطجة التي تحدث في المنطقة لا تبعدُ عنهم .

هززتُ رأسي موافقاً:

- أعتقد أن القرار الصائب أن نذهب لـ "الرأس الكبيرة" هناك .همَّ عصام أن يعترض لكني أشرتُ إليه لأكمل:
- تبليغ الشرطة طريقٌ طويلٌ جداً وبنسبة كبيرة لن نستردَّ الأموال .

عقد عصام حاجبيه وهو يشير إلى الدولاب المعدني المكسور زجاجه وقال:

- ومن يدفع لنا ثمن كل هذه التلفيات؟ لستُ معك يا دكتور محمود، هذا الأسلوب هو ما يشجع هذه العصابة على نهب بيوت الناس وهم واثقون أن الناس ستأتي لكبيرهم ليدفعوا "الجباية" إن رغبوا في استرداد ما سُلب منهم .قلتُ موضحاً:
- يا عصام، أنت لست من ساكني هذه المنطقة ولا تعرف شيئاً. عندما تزوجتُ منذ عشرين عاماً، تعرضت شقتي للسرقة وبلغتُ الشرطة ولم أصل لشيء.. ثم جاءني في العيادة كبيرُهم المعلم "مجاعص" يعرض عليّ ما سُلب مني مقابل مبلغٍ صغير، واصفاً إياه بأنه أتعابه

حاول عصام الاعتراض، فأشرتُ إليه أن يصمت ممسكاً رأسي من الصداع، وطلبتُ منه أن يحضر نجاراً، ثم عدتُ لأنام.

* * * *

استيقظتُ مع أذان الظهر، وطلبتُ من زوجتي تحضير الفطور، ثم دلفتُ إلى الحمام لأغتسل وقد استعدتُ نشاطي. أخبرتُ زوجتي بكل شيء وبنيتي الذهاب للمعلم مجاعص، فنظرت إليّ برجاء:

- لا تذهب وحدك، هؤلاء مجرمون!
- لا تقلقي، سأمرُّ على دكتور "منجد" شريكي في العيادة.

نهضتُ متوجهاً إلى صيدلية شريكي منجد، وأبلغته الخبر فأتى معي. سرنا بضعة أمتار حتى وصلنا إلى أرضٍ فضاء تراصت فيها مجموعةٌ من الأكشاك بجوار مقلب قمامةٍ كبير.. وهناك توقفنا أمام أحدها تعلوه لافتةٌ باهتة مكتوب عليها بخط كبير: "سمسار". كان يجلس أمامه رجلٌ ضخم الجثة، مجعد الشعر، يزحف نحو عقده السابع.. مترهل الأشداق.. عيناه ذابلتان مشربتان بحمرة من أثر الدخان. ألقيتُ السلام فرده بصوتٍ أجش:

- أهلاً وسهلاً سعادة البيه.. نحن دائماً في الخدمة.

قلتُ بلهجةٍ لائمة:

- لم أكن أتوقع سرقةَ عيادتي رغم أني أرسلُ لكم "المعلوم" شهرياً !

نهض الرجل مندهشاً:

- قُطعت اليدُ التي تمتد إليك بسوء يا دكتور محمود.. أنا متأكد أن الموضوع بعيدٌ عن رجالي، وعلى أي حال لا تقلق، سأعيدُ لك كل شيء .ثم نادى:
- زقلط"! لا تبرح المكان حتى أعود.

توجه معي إلى العيادة، وهناك نظر نظرةً فاحصة للباب ثم دلف للداخل. قلتُ له:

- تعلم جيداً يا معلم أن أي حادث سرقة هنا لا يخرج من تحت يد رجالك . هز رأسه نافياً:
- عيب عليك يا سعادة البيه.. أنت جار عزيز وفي حماية المعلم مجاعص بنفسه .صمت برهة ثم استرسل:
- الواضح أنَّ "الحرامي" مبتدئ لأن العنف في كل مكان.. على العموم سنعرفه و"نربيه".. لا تقلق .التقط مفكاً من الأرض سلاحُه معقوف، وقال متقمصاً شخصية محقق:
- هل هذا المفك يخصك يا بيه؟
- يا معلم.. وهل هذا كلام منطقي؟ ماذا نصنع بمفكٍ كهذا في عيادة طبية؟ استأذنني أن يحتفظ به، تركته له غير مكترث، لكني قلت قبل أن ينصرف:
- أعتقد لا معنى لـ "الشهرية" التي أرسلها لك ما دمت لم تعد لي ما سُلب مني !التفت إليّ والشرر يتطاير من عينيه:
- لن أقبل هذه الإهانة.. قلتُ لك سأعيدُ مالك.. قل لي كم المبلغ؟
- تسعة آلاف جنيه .فغر فاه واتسعت عيناه:
- لا تنظر إليّ هكذا.. إيراد العيادة أقل من نصف هذا، والباقي يخص صديقي.

انصرف الرجل، فانفكَّت عقدةُ لسان شريكي منجد قائلاً:

- ماذا كسبنا من وراء زعيم الهناجر هذا؟ هل تتخيل أنه سيعترف؟
- أعلم أنهم لصوص المنطقة، والسمسرة مجرد ستار، لكني آمل استرداد المسروقات بالحسنى.

* * * *

جلس المعلم مجاعص أمام كشكه يتأمل المفك، ثم طلب رقماً:

- أيوة يا "غلوش".. اجمع الرجالة حالاً .اجتمع الحشدُ فقال مجاعص بصوته المرعب:
- أنصتوا جيداً وحذار أن تكذبوا.. هل منكم من تجرأ وسطا على عيادة الدكتور محمود؟ سرت همهمة ولم يجب أحد، فصاح مهدداً:
- ألستم تسمعون؟! هل سُرِقت العيادة من تلقاء نفسها؟! من هذا الذي يعمل لحسابه الخاص؟ قال "غلوش" بصوتٍ خفيض:
- يا معلم نحن رجالك، ومن غير المعقول أن نفعل شيئاً دون الرجوع إليك.
- حسناً يا نابغة، ألديك تفسيرٌ آخر؟
- قل لنا الحكاية بالضبط حتى يتسنى لنا الوصول للجاني.

قصَّ مجاعص الحكاية وأخرج المفك:

- أريد أن أعرف لمن هذا؟ لمعت عينا غلوش:
- هذا مفك "تروكس" يستخدمه النجارون.. أعطني فرصة وسأحضر لك السارق.
- أمامك للغد، إن لم تحضره سأعاقبكم جميعاً.. هل تعلمون ماذا سيحدث؟ سأفقد هيبتي يا غجر ولن يدفع لي أحد الجباية بعد الآن !ثم صفق يديه وأمرهم بالانصراف.

مرت سويعات وجاء غلوش بابتسامةٍ عريضة:

- عرفت السارق.. إنه "سيد خبيني" صبي النجار في الورشة المواجهة للعيادة.
- وكيف عرفت؟
- علمتُ أن السارق نجار، راقبتُ الورشة فلم أجد إلا "سيد" الذي ظهر عليه الثراء فجأة وأخذ يصرف المال بغير حساب.
- وماذا تنتظر؟ أحضره فوراً!

ألقى رجالُ مجاعص بـ "سيد" مكتوف اليدين. نظر مجاعص إلى سيد ذا البنية الضعيفة وهو زائغُ العينين، ثم انتشله الصوت الأجش:

- أين المسروقات أيها التافه؟

ارتعدت فرائسُ سيد محاولاً الإنكار، لكن مجاعص أمر رجاله أن يوسعوه ضرباً حتى يعترف.

* * * *

في اليوم التالي، دخل شكري وهمس لي أن المعلم مجاعص ينتظرني. خرجتُ لأجده مبتسماً:

- لقد وجدنا السارق.. سيد خبيني، صبي النجار .

أشارِ للورشة من النافذة، ثم نادى: "غلوش!". دخل غلوش ورجل آخر يحملان محفةً عليها شابٌ نصف واعٍ، وجهه متورم وثيابه ممزقة.

- قل يا ولد.. قل للدكتور ماذا فعلت؟ تمتم الصبي بكلمات متهدجة:
- لقد سرقتُ عيادتك...

ثم غاب عن الوعي. نظر إليّ مجاعص بنبرة رثاء:

- للأسف يا بيه، الولد صرف كل الفلوس... ولا فائدة .ثم مال نحوي وابتسم ابتسامة المنتصر:
- لكن لكي تعرف أن المعلم مجاعص رجل يحب الحق.. لن آخذ منك "الجباية" لمدة ستة أشهر!

ربت على كتفي وأردف:

- هكذا كأننا أعدنا لك مالك بالتمام والكمال!

تركني وانصرف، مخلفاً وراءه رجلاً فاقد الوعي وجسداً منهاراً.. وأنا واقف لا أعرف هل انتصرت العدالة أم هُزمت!

تمت

جزء ثان :مركب النسايب

كنت في حجرة الكشف مع آخر مريض عندي في العيادة، عندما استأذن للدخول عبد الله، الطبيب حديث التخرج الذي عمل مؤخراً عندي في عيادتي الشاملة . كان ممتقع الوجه زائغ العينين وحبات العرق تنحدر من جبهته، فقلت له وقد هالني الأمر:

-ماذا دهاك؟

ابتلع ريقه، وقال مستغيثاً بي

-أرجوك يا دكتور. الحقني.

لم يكد يلقى بجملته حتى اندفع خارج الحجرة، فاستأذنت مريضي وذهبت خلفه ورأسي يدور بألف فكرة سوداوية.

* * * *

كانت ممددة على سرير الكشف، وقد غلفت جسدها زرقة، أطرافها باردة شاخصة البصر.

قال لي وأنا أحاول إنعاشها بتدليك قلبها:

-لقد جاءت تعاني أزمة في صدرها. حاولت إسعافها بحقنة أمينو فيلين، لكنها انهارت تماما ثم ماتت. أقسم لك يا دكتور لم أكن السبب. إنها. إنها.

التفتُ إلى زوج المريضة الذي كان أكثر انهيارا من عبد الله فالأحرى بي أن أهداه وأعزيه في مصيبته عن أن ألتفت لعبد الله

-البقاء لله، لقد نفذ قضاء الله قبل أن نسعفها، المريضة جاءت للعلاج متأخرة. قدر الله وما شاء فعل.

كان زوجها واجما، لا يصدق أنه اصطحب زوجته على قدميها، لكنها الآن ستعود معه، وقد أسلمت روحها إلى بارئها. ثم بدأ يهذي بكلمات لم أتبينها فربتُ على كتفه محاولاً مواساته والتخفيف عنه.

* * * *

كنت أقف أمام باب العمارة التي بها عيادتي عندما خرجت السيدة محمولة على الأعناق يصحبها الصراخ والعويل بعد أن جاءتها على قدميها.
كان الدكتور منجد يجلس في صيدليته ينظر إلى نظرة يشملها الشماتة والتشفي.
دلفتُ إليه بالرغم من أني موقن أنه لا يحبني وينتهز الفرص حتى يتمكن من فض شراكته معي في العيادة الشاملة، إلا أنني كنت متوقعاً أن يقول لي شيئاً يخفف عني ما حدث، ولو من باب المجاملة، لكنه قال لي وهو لا يخفي فرحته
-اسمع يا محمود... العيادة بالشكل ده في خسارة مستمرة. إيه رأيك تأخذ فلوسك ويا دار ما دخلك شر.
قلت له في هدوء
-ألم نتحدث عن هذا الموضوع من قبل. لن أترك العيادة التي بنيتها بتعبي وكدي.
رد على محبط
-لكن الإيراد كل شهر يقل عمن قبله وأنا.
قاطعته قائلاً
-أنت تعلم تمام العلم إننا نقترب من فصل الشتاء، ومن الطبيعي أن يقل الإيراد. وهذا لا يحدث لنا على وجه الخصوص، بل لكل من يعمل في المجال الطبي.
لم يستطع منجد أن يداري ما يدور في صدره، فانفلت منه هدوؤه، وصرخ في انفعال
-يا أخي أنا حر... لا أريد الاستمرار في هذه الشراكة، سأعطيك ثلثي نصيبك والباقي ساقطة لك على ستة أشهر.
نظرت إليه بازدراء، ولم أرد عليه حتى بكلمة، فقط استدرت وعدت أدراجي.

* * * *

عدت إلى شقتي والهموم والتعب يغلفاني. فتحت الباب فإذا بابنتي الكبرى ذات الرابعة عشر ربيعاً مقبلة على عندما سمعت صوت المفتاح يدور في الطبلة معلناً عن مجيئي، كانت تحمل في يدها كتاباً، وتشير إليه ففهمت أنها تريد مني أن أشرح لها شيئاً قد أغلق عليها فهمه، فرجوتها أن تتركني وشأني لأني مجهد وجائع فقالت متذمرة
-يا بابا أنا لا أجدك طوال الوقت.
لم أجبها لأن الحديث معها إذا بدأ لن ينتهي إلا بشق الأنفس، فقط تركت جسدي على الأريكة، دون أن أبدل ملابسي، فقد بلغ بي التعب مداه، ألقيت برأسي للوراء وأغمضت عيني، لكن ما هي إلا لحظات، حتى مرت زوجة إلى جواري حاملة

أطباق الغذاء في طريقها لحجرة الطعام، فتوقفت برهة عندما ألفتني بتلك الحالة وقالت محتجة
-ما هذا يا محمود؟!... هيا اذهب وبدل ملابسك، الغذاء على الطاولة.
* * * *

كنت جالساً ألوك الطعام في فمي، ولا أشعر بطعمه، لاحظت زوجتي ما بي من كدر، فسألتني عما حل بي. هززت رأسي ثم نهضت.
جلست في حجرة نومي على حافة السرير أمام المرآة، لم أكن أنظر إلى انعكاس صورتي، بل كنت أسبح في خضم مشاكلي المعهود، عندما دخلت زوجتي حاملة في يدها كوباً من الشاي. وضعت الكوب إلى جواري قائلة
-ما لي أراك واجماً، هل حدث شيء؟
قلت لها في ضيق
-زوج أختك.
قالت مستفسرة
-تقصد منجداً. هل حدث بينكما شيء آخر؟
-الموضوع الذي لا يمل من تكراره. استحواذه على العيادة.
قالت لي ناصحة
-اتركها له، وسد الباب الذي يأتيك منه الريح.
أجبتها متعجباً.
-كيف ذلك؟ بعد أن بنيت لنفسي سمعة طيبة، وعرفني الناس في المنطقة، فكيف لي أن أبدأ مجددا في مكان آخر.
أخرجت زفيراً من صدرها ثم قالت:
-إذن ادفع له نصيبه ودعه يترك لك العيادة.
أخذت رشفة من الشاي ونهضت قائلاً
-ومن أين لي بنصف مليون جنيه الآن. الكلام لا طائل من وراءه، دعيني لأستريح قليلا، وأيقظيني بعد ساعتين لأذهب للعيادة.
لم تكد تمر ساعة حتى رن هاتفي المحمول، فأجبت وما زال النوم في جفوني، كانت حنان موظفة الاستقبال في عيادتي الشاملة تخبرني بضرورة حضوري على الفور لوجود حالة مستعجلة.
لم أستغرق أكثر من ربع ساعة، وكنت على الباب أهم بالخروج عندما جاءتني مروة وفي يدها الكتاب نفسه، فابتسمت لها وطبعت قبلة فوق جبينها معتذرا ثم انصرفت.

* * * *

عدت إلى المنزل وعقاربها قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل، منهوك القوى وجسدي يستغيث طالباً للراحة والنوم.
ألقيت بجسدي على أقرب مقعد لباب الشقة، عندما أقبلت زوجتي مسائية وهي تفرك عينيها وقالت:
-العشاء مغطى على الطاولة، سأذهب لتسخين الخبز لك.
تناولت عشائي ثم خلدت إلى النوم . تناسيت مشكلتي، فقد ذابت مؤقتاً في خضم أيامي المتلاحقة بين البيت والعيادة.
حتى كان يوما جاءتني زوجتي تبشرني أنها وجدت حلاً لمشكلتي مع منجد، فتهللت أساريري وأصغيت إليها فإذا بها تقول:
-زوج أختي الصغرى ممدوح، يريد أن يصبح شريكاً لك عوضا عن منجد عندما علم بالمشاكل التي بينك أنت ومنجد.
نظرت إليها نظرة غاضبة، وقلت في عتاب ولوم
-ألم أقل لك أكثر من مرة أن تكفي عن نشر أسرار عملي عند أهلك، ثم من أدراني ألا يفعل بي مثل منجد، وأصبح كمن خرج من جحر صغير ليقع في منحدر كبير.
قالت لي محاولة الدفاع عن نفسها
-أنا أحاول أن أجد حلاً لمشكلتك مع منجد، ولا تقلق من ممدوح، فهو يعمل في أمريكا، ويريد استثمار مدخراته عوضا عن إيداعها في البنك. ها ما رأيك؟
وضحت لها أنه من المحتمل أن يرفض منجد الفكرة؛ لأنه يطمع في العيادة، وحتى إن وافق وخرج من الشركة فكيف أمنعه من استخدامه لأساليبه القذرة لصرف الزبائن عن العيادة.
ففي واقعة السيدة التي توفيت الأسبوع الماضي بلغَني أنه يشهر بي كطبيب، ويحكى لرواد صيدليته عن الواقعة بطريقة تجعل المرضى ينفرون من العيادة وكأنني حانوتي ولست طبيباً.
لكنها طلبت مني أن أجرب ولا أعبأ بمكائده عسى أن ترتد إلى نحره، فهززت رأسي وقلت لها إني سأفكر في الأمر.

تمت

(أحلام عابرة للمحيط)

"خلفَ الأفقِ أرضٌ جديدة، وفي القلوبِ كفاحٌ لا يهدأ"

سجين المختبر العائم

أغسطس عام ١٧٤٩- في قلب المحيط الأطلسي

كانت شمس أغسطس تلهب أجساد ركاب ***"السفينة مارجريت"*** فيحاولون الهرب إلى أي ركنٍ ظليل، أو يحتمون داخل غرفهم الضيقة. جورج الكميائي الشاب كان يحلم بمستقبل مشرق في الأرض الجديدة، كان يجلس في غرفته يتناول إفطاراً بسيطاً مكوناً من بسكويت جوز الهند، وقدح من القهوة الممزوجة باللبن عندما نمى إلى مسامعه صوت صراخ يأتي من سطح السفينة، مد يده بحركة غريزية إلى حقيبته التي تحوي قوارير زجاجية من زيت الزاج وماء الفضة وروح الملح وغيرها من كنوزه الكميائية مغطاة بطبقة سميكة من الجلد لتحميها من الكسر، حقيبته التي لا تفارقه أينما ذهب، مخافة أن تعبث بها أيدي الجاهلين فتسبب كوارث.

عندما وصل إلى السطح ارتطمت به الكثير من أجساد الركاب الهاربين في عشوائية، لم يفهم في البداية، لكنه لمح العلم الأسود الذي يتوسطه جمجمة بيضاء وعظمتان متعانقتان تحتها.

وبحلول الظهيرة، كان القرصان ***"سيلفرستون"*** يتوسط سطح السفينة صارخا في رجاله

-الماء، اتركوا كل شيء وانقلوا الماء العذب إلى السفينة الآن.

أما جورج، فقد تجمد في إحدى الزوايا محتضناً حقيبته ترتعد فرائصه وهو يرقب جمع القراصنة الذين تجاهلوا كل غالٍ ونفيس، واستهدفوا فقط الماء. دارت في رأسه الكثير من الأفكار السوداء حولً ما سيفعله القراصنة بالركاب. هل سيقتلونهم؟؟ أم تراهم سيتركونهم يموتون عطشا. لم يكن يخاف من هذا المصير؛ لأنه ببساطة يستطيع تقطير الماء المالح ليصبح صالحاً للشرب، إذن فاليأخذون الماء، المهم الآن أن يتركوا الركاب وشأنهم بعد ذلك.

قطع عليه حبل أفكاره ارتطام أحد القراصنة به، فأطاح بحقيبته من يده، فإنفتحت لتتناثر محتوياتها من أوراق بحثية وزجاجات الكيماويات الثمينة والكثير من الأدوات وأنابيب الاختبار الذي انكسر بعضها بفعل الارتطام ، نهض بحركة غريزية ليعيد كل شيء في مكانه في سرعة ليجد قدماً غليظة تسبقه وتطأ الحقيبة لتمنعه من أخذها، رفع بصره ليرتطم بوجه أبيض شاحب مشرب بحمرة البحر تعلوه عين حمراء، بينما اختفت الأخرى تحت جلدة سوداء مستديرة مثبتة بحزام جلدي يختفي تحت قبعة قرصان تقليدية كبيرة يخرج من تحتها خصلات شعر حمراء يغذوها الشيب، تجمد الزمن لحظة، وهو يفكر ماذا سيفعل به كبير القراصنة؟

انحنى قائد القراصنة، وبطرف سيفه قلب أحد الأوراق التي كانت تحمل رسوماً دقيقة لتجارب كيميائية ورموز لاتينية.
اتسعت عينا القائد، وهي تجول في محتويات الورقة، خفتت حدة نظراته العدوانية فجأة، وحل محلها بريق من الطمع الممزوج بالأمل. نظر إلى جورج، وقال بصوت عميق هادئ ومخيف
-إذن. أنت من يفك شفرات الطبيعة؟ لقد أرسلك البحر لنا في الوقت الملائم ، ذهبي كله لن يشتري لي جرعة ماء واحدة لا تشبه طعم السم من براميلي المتعفنة.
قال جملته الأخيرة وهو ينحني ويجبر جورج على النهوض بجذبه من ياقته، ثم يأمر قراصنته بأسره، أدرك جورج حينها، وهو يُساق مكبلاً نحو سفينة القراصنة، أن علمه الذي كان تذكرته للثراء في ***"الأرض الجديدة"*** ، صار الآن هو القيد الذي سيسجنه في عالم القراصنة إلى الأبد.

* * * *

وجد جورج نفسه ملقى في زاوية ضيقة على سطح سفينة القراصنة وإلى جواره حقيبته الجلدية، رفع بصره فأبصر بالسفينة **"مارجريت"** تبتعد وتبتعد حتى اختفت تماما عن ناظريه، قطع تأملاته مجيء سيلفر، وهو يحدثه بصوت أشبه بفحيح الثعابين :
-إن كنت تبغي الحياة وحسن المعاملة، عليك بتنفيذ أوامري.
حاول جورج أن يبتلع لعابه لتخفيف خوفه وتوتره، لكنه لم يجد إلا حلقاً جافاً، فأومأ برأسه موافقاً، وطلب جرعة ماء.
فأجابه سيلفر بقهقهة عالية أعقبها بجملة قصيرة :
-ليس قبل أن تطرد لنا شياطين البحر من براميل الماء. نحن نعاني هنا من تحول الماء للون الأخضر ليصبح رائحته كالسمك النتن وطعمه كالموت.
بالرغم من دقة موقف جورج إلا أنه كاد أن ينهار من الضحك على كلام كبير القراصنة، واستطاع بأعجوبة أن يبتلع ضحكته حتى لا توردة موارد التهلكة فكيف له أن يصف "الحوينات الصغيرة" التي تسبب فساد الماء بشياطين البحر، صمت لحظة ثم قال في صوت منخفض
-سيدي إذا أردت أن أساعدك عليك أولا أن تفك قيدي ثم تدلني على البراميل التي تخزن فيها الماء.
فتل كبير القراصنة شاربه العظيم، وضاقت عينه الواحدة قبل أن يشير إلى أحد أتباعه بفك قيد جورج.
جال جورج بصره على سطح السفينة، بينما يتبع أحد القراصنة حيث مائهم الآسن، فوجد الكثير من صناديق الخمر والأسماك المدخنة. هبط الدرج ليدخل إلى

مخزن سيء الرائحة اصطفت فيه براميل خشبية، توقف القرصان ثم فتح أحد البراميل، فهبت رائحة نتنة تزكم الأنوف، أشعل القرصان قداحة، فظهرت طبقة خضراء على سطح الماء، فقال وهو يشير إليها :

-شياطين البحر أفسدت ماء الشرب خاصتنا، بالرغم من نقله بعيدا هنا في هذا القبو.

مرة ثانية كتم جورج ضحكته خوفاً من البطش وقال للقرصان :

-أريد عينة من هذا الماء لحل هذه المشكلة.

نظر القرصان له بريبة، وهم أن يقول شيئاً، لكنه تذكر أوامر القائد سيلفر بتنفيذ أوامر الغريب، فأخرج من حزامه الجلدي قدح صغير جلب به عينة من البرميل قبل أن يعاود غلقه، ويصعد للسطح تاركاً جورج يتبع خطاه مجددا.

جلس جورج إلى جوار حقيبته، وهم بفتحها، لكنه فوجئ بالقرصان يصوب إلى رأسه بندقيته، ويقول بلهجة حادة :

-احذر أي تصرف غبي قد يودي بحياتك أيها الغريب.

ابتسم جورج في مرارة، وقال ملوحاً بيديه

-اسمي جورج .لا تقلق، تستطيع أن تبقى على هذا الوضع إن أردت، لكني حقاً أريد أن أساعدكم.

انتهى من قوله، وأخرج من حقيبته دفتر ملاحظاته وأنبوب معدني ينتهي بعدسة أحادية وشريحة زجاجية صغيرة وضع عليها قطرة من الماء، ثم نظر إليها من خلال الأنبوب المعدني وهم برسم ما يراه من الكائنات الصغيرة عندما صكت أذنيه ضحكة ساخرة تبعها قول القرصان متهكماً:

-انظروا إلى هذا الأبله! نحن نموت عطشاً، وهو يحاول قراءة الطالع في قطرة ماء. أخبرنا يا حكيم الزمان، هل رأت عيناك في تلك القطرة مطراً قريباً، أم أنك تبحث عن سمكة صغيرة لتتعشى بها؟

تجاهل جورج ما سمعه لكي يركز في ما يراه ويرسمه بدقة ثم تناول مخطوط في علم الأحياء، وقلب فيه بسرعة قبل أن يتوقف عند رسمة معينة لأحد الحوينات الصغيرة الممرضة، أخذ نفساً عميقاً، وأعاد أدواته إلى حقيبته، وقال بصوت هادئ متجاهل سخرية القرصان:

-دعني أقابل القائد سيلفر لأشرح له خطتي لحل المشكلة.

* * * *

وجه جورج القراصنة للتخلص من الماء الآسن في البحر، ثم أرشدهم بضرورة حرق الطبقة الداخلية من البراميل لتطهيرها من الحوينات الممرضة، وفي نهاية المطاف قام ببناء جهاز تقطير لماء البحر مستعيناً بما هو متاح في السفينة.

وعند الحصول على أول جرعة من الماء المقطر العذب هلل القراصنة فرحين عندما سأل قائدهم جورج عن كيفية حفظ الماء، حتى لا تصيبه أرواح البحر الشريرة وتفسده فقال جورج مجيباً :

-سيدي.. المتسبب في فساد الماء كائنات صغيرة جداً يدعوها العلماء بالحوينات الصغيرة، ويمكن ببساطة محاربتها عن طريق العملات الفضية.

فغر قائد القراصنة فمه متعجباً وقال ساخرا:

-ماذا تقول يا فتى؟ هل تحاول رشوة هذه الكائنات بالمال لتتركه وشأنه.

ابتلع جورج كلام القرصان، وقال متجاهلاً نبرة السخرية الواضحة في كلامه

-سيدي.. عليك أن تنفذ ما أقول إن كنت تريد حفظ الماء من التلف.

مرت شهور على جورج، وهو يعمل بشكل مستمر لدى القراصنة لتوفير الماء العذب لهم، كان يعتقد أنهم سيتركونه وشأنه عند حل مشكلة الماء، لكنه كان مخطئاً، فقد ازدادوا تمسكاً به لحل أي مشكلة قد تطرأ عليهم في المستقبل، لذا فكر جدياً في طريقة يهرب بها من هؤلاء، حتى كان يوماً.

لاحظ أن هؤلاء يحبون السهر، ويتناولون كثيراً من الخمر في أثناء ذلك ، فهل يقدم على الهرب في أثناء ذلك في قارب من قوارب الإنقاذ. فكر كثيرا لكنه قرر ألا يتسرع باتخاذ قرار يفقده ثقة هؤلاء وكذلك عنصر المفاجأة.

فتح حقيبته، وفحص زجاجاته الثمينة، ثم أخرج من بينها زجاجة "الروح الحلوة للزاج" رفعها عالياً متأملا، وقال محدثاً نفسه

"-مادتي الثمينة الغالية مضطر أن أضحي بك للحصول على حريتي"

وضع الزجاجة إلى جانبه، وأخرج مذكراته وتصفحها سريعا حتى توقف عند صفحة بعينها وفكر.

"-لكي ينام هؤلاء يجب أن أخلط محتويات هذه الزجاجة في ربع برميل ماء . أي زيادة في نسبة التخفيف قد تفقد مفعول المادة المنومة. لكن ما الوقت المناسب لذلك؟؟ آه أولا يجب على الانتظار حتى ينخفض منسوب الماء في البرميل المستخدم، ثم اختار وقت الظهيرة حيث يبدأ هؤلاء في العمل، ويشربون الكثير من الماء وقتها سيخلدون إلى النوم واحد بعد الآخر . ثم فرفع إصبع الإبهام والسبابة، وأكمل محدثاً نفسه " ووقتها تكون الفرصة سانحة للهرب . يجب أولا ادخار جزء من طعامي وملء قارورتين من الماء . قبل بدء تنفيذ الخطة.

تحين الفرصة المنتظرة في ظهيرة يوم قائظ، حين تآمرت الشمس مع رطوبة البحر لتجعل الحناجر يابسة كالخشب. كان البرميل الأخير قد شارف على الانتهاء، وهي اللحظة المثالية لتكون مادة "الروح الحلوة للزاج" في أعلى تركيزاتها. تسلل بهدوء، وسكب محتوى الزجاجة الثمينة في جوف البرميل، راجياً

من الله ألا تخونه الحسابات؛ فغلطة واحدة في المقادير قد تعني نوماً أبدياً لهؤلاء الرجال، أو يقظةً تقوده إلى الهلاك.
لم تمضِ ساعة حتى بدأ مفعول المادة يغزو السفينة كضباب خفي. رأى القرصان الذي كان يسخر من مجهره يترنح، ثم يسقط بجانب مدفعه مغشياً عليه في غطيط عميق. أما القائد سيلفر، فقد حاول مقاومة الثقل الذي يهبط على جفنيه، ونظر بعينه الحمراء نظرةً أخيرة شابتها حيرة مبهمة، قبل أن يرتطم رأسه بطاولة الخرائط، ويدخل في سباتٍ عميق.
ساد الصمت السفينة، صمتٌ لم يقطعه إلا صوت تلاطم الأمواج. لم يضع ثانية واحدة؛ وسحب حقيبته الجلدية، ووضع فيها زجاجات الماء التي ادخرها وقطع البسكويت والسمك المجفف، ثم توجه إلى قارب النجاة المعلق على الحافة. بيدٍ ترتجف خوفاً من الفشل، بدأ بفك الحبال، بينما كان قلبه يدق بعنفٍ كطبول الحرب.
أنزل القارب إلى سطح الماء بنعومة، وقفز فيه تاركاً ورائه الكيان الخشبي الذي كان سجنه لشهور. أخذ يجدف بكل ما أوتي من قوة، مبتعداً عن سفينة القراصنة التي بدت الآن كوحشٍ نائم في عرض المحيط.
عندما توارى عن الأنظار، وأشرقت شمس اليوم التالي، لمحْ في الأفق خطاً أخضر يبشر بـاليابسة فتلمس حقيبته، وابتسم في مرارة ممتزجة بالانتصار؛ لقد ظن سيلفر أن الذهب هو من يشتري الحياة، وظن أن "الحوينات الصغيرة" شياطين، لكنه لم يدرك أبداً أن أعظم قوة في هذا العالم ليست في لمعان السيوف، بل في قارورة صغيرة يحملها كيميائي قرر أن يشتري حريته بعلمه.

تمت

حلم ماريو

وُلدت عام ١٩٢٠ في مدينة ريجيو في منطقة كالابريا في جنوب إيطاليا في أسرة فقيرة، ماتت أمي بعد ولادتي بأيام قليلة متأثرة بحمى النفاس. كان أبي يمتلك مزرعة صغيرة لأشجار الزيتون يحصد منها ليرات قليلة تكاد تسد رمقنا، مات وأنا بعد في الحادية عشر من عمري متأثرا بمرض السل المميت. ضاقت حياتي وفكرت في الهجرة مثل الآلاف من أبناء بلدتي لأرض الأحلام. كنت قد أتممت عامي الرابع والعشرين منذ أيام قليلة عندما اتخذت قراراً بالهجرة.

ترددت كثيرا أن أهاجر وأترك وطني لأذهب إلى أرض لا أعلم عن لغة أهلها إلا القليل. لم أكمل تعليمي، فقط أستطيع القراءة والكتابة، ولا أتقن سوى الزراعة، لكني في نهاية الأمر وجدتني أسلك مسلك الكثيرين، فبعت مزرعتي الصغيرة بألف ليرة، واشتريت تذكرة سفر بالدرجة الأدنى "درجة الركاب " بمئتين وخمسين ليرة، ولأن الرحلة تستغرق حوالي أربعة عشر يوماً "هكذا أخبروني عندما اشتريت تذكرتي" كان لا بد لي أن اشترى طعاماً يكفيني أسبوعين.

جهزت ما يكفيني من اللحم المقدد والبسكويت والخبز وكذلك نصف كيلو من جبن البرامجيان. أما الماء فلم أحضر منه سوى قارورة واحدة، فقد علمت أيضاً أنه يوزع مجاناً على الباخرة. تبقت معي سبعمائة ليرة، فاشتريت أونصتين من الذهب لعلمي أن الليرة لن تصلح للتداول في أمريكا.

جاء اليوم الموعود، فحملت حقيبتي خلف ظهري، وتوجهت للباخرة، وأنا أشعر بقبضة باردة تعتصر قلبي. ألقيت نظرة أخيرة على بلدتي قبل أن أغادرها إلى الأبد.

قادني أحد البحارة بعد أن نظر إلى تذكرتي لعنبر فى قاع السفينة، ملئ بالسرائر ذات الطابقين يسكنها المئات من المهاجرين مثلى ، كانت الرائحة سيئة للغاية، بينما تمرح الحشرات والفئران الصغيرة في كل مكان.

ألقيت بجسدي من التعب على فراشي لأسقط في نوم عميق، وعندما أفقت علمت أني نمت اليوم بأكمله بعد أن ألقيت نظري على ساعة جيبي.

شعرت بالاختناق، فقررت الصعود لسطح السفينة لأستنشق هواء المحيط النقي وما إن صعدت حتى قابلني أحد البحارة متجهم الوجه، فدفعني في غلظة، ثم حادثني بكلمات مقتضبة، وهو يشير إلي نحو المنطقة الخلفية من السفينة لأدرك أنه غير مسموح لأمثالي من السطح سوى منطقة محدودة، وهناك لم أجد مكاناً

أجلس عليه من كثرة الزحام، فجلست على الأرض في زاوية بالكاد تستوعب جسدي.
مرت الأيام ثقيلة، حاولت تكوين صداقات مع أمثالي من المهاجرين لقتل الوقت على الأقل، لكن أغلبهم كان أسر منغلقة على نفسها لم ترحب بي.

* * * *

أخيراً رست الباخرة على جزيرة إليس، منيت نفسي بالانطلاق نحو مدينة نيويورك.
لكني كنت ساذجاً للغاية، كان لا بد لي أنا، وكل من نزل من الباخرة الخضوع للفحوصات الطبية والاستجواب من قبل مسؤولي الهجرة، ظننت أنها مجرد إجراءات يُسمح لنا بعدها بالدخول إلى البلد لكني أدركت مدى سذاجتي للمرة الثانية، ليدق قلبي بعنف بين ضلوعي كقرع الطبول عندما رأيت بأم عيني رفض دخول الكثير من المهاجرين ليعودوا مجبرين إلى الباخرة، جف حلقي عندما أتى دوري، كانت منصة صغيرة يجلس خلفها طبيب وضابط. أما الطبيب فأخذ يسألني عن إذا ما كنت مصابا بأمراض مزمنة أم لا، ثم استمع إلى صدري وظهري بسماعته الطبية.
أما الضابط، فأخذ بياناتي سريعا، وأعطاني بطاقة عليها شعار إدارة الهجرة وذيله بجملة بالإنجليزية لم أعرف معناها، ثم أشار إلي بالدخول للبلدة لأتنفس الصعداء.
كان التعب والجوع قد بلغا منى المدى، وقد غرقت البلدة في الظلام، لم يكن معي غير ذهبي ، تملكني الخوف فأحجمت عن السؤال، فقد خفت أن أتعرض للسرقة إذا طلبت المعونة من المارة لمعرفة الطريق لمحلات الذهب. جرفتني حشود المهاجرين، فذهبت معهم حتى وصلنا لمرسي عَبَارات صغيرة وهناك وجدت مجموعة من العساكر يقودون الناس لإيصالهم إلى الحي الإيطالي في مدينة نيويورك، ركبت وغفوت رغماً عن أنفى حتى شعرت بيد تهز جسدي يصحبها صوت يخبرني بالإيطالية أننا قد وصلنا.
لم أعرف ماذا أفعل ؟ فقط اتبعت الناس وفعلت ما يفعلون ، سألت أحد المهاجرين الذى سمعته يتحدث الإنجليزية بطلاقة ، عن وجهة الناس فأجابني أن العساكر قد وضحوا أنه سيتم استضافتنا في البيوت الخيرية التابعة للكنيسة الكاثوليكية حتى ندبر أمرنا ونحصل على عمل ومسكن بعد ذلك ، فحمدت الله، يبدو اننى لن اضطر لبيع ذهبى.

ذبت وسط جمع المهاجرين متوجهاً معهم للبيوت الخيرية، استقبلونا استقبالا طيبا وحصلت هناك على وجبة وسرير ، أكلت حتى شبعت ثم نمت حتى الصباح .

وبعد تناولنا وجبة إفطار بسيطة تم توجيهنا لبهو الكنيسة وهناك سمعنا الواعظ يتحدث بالإيطالية وعندما فرغ من وعظه أخذ يشرح لنا فرص العمل المتاحة حتى يبدأ كل واحد منا حياته الجديدة.

استمعت إليه جيدا لأدرك أن أمامي فرص ضئيلة للعمل لأنى لا أتقن سوى الزراعة وهنا في الحى الإيطالي لا يوجد سوى الوظائف الشاقة مثل أعمال البناء المتاحة لي في الوقت الحالي.

* * * *

انتهت أيام الضيافة ، وكان على أن ابدأ في شق طريقي بمفردي ، التحقت بوظيفة بناء ، كانت مهمتي نقل مواد البناء في البداية حتى تعلمت كيفية البناء ،كان أجرى خمس دولارات في اليوم ، وكنت أحصل عليه أسبوعيا ، سكنت في غرفة في مسكن مشترك ضخم مكون من غرف عديدة أما المطبخ والحمام فكان مشتركا بين حوالى عشرون فرداً ، أجرة الحجرة خمس دولارات أسبوعيا ، إذن يجب على أن أضع خطة محدودة لأتمكن من تحسين معيشتي في خلال سنة على الأكثر من العمل الذؤب ،أما أجرى الأسبوعي فكنت أستهلك منه ١٠ دولارات بين سكن وطعام وأدخر عشرون دولارا .كنت أعانى من العمل الشاق لكن كان على أن أتحمل عاما كاملا لأبدأ حلمي.

لدى حلم صغير ، نعم .. أن أدير مشروع خاص بي ولا أعمل عند الغير لذلك وضعت خطة محدودة تنتهى في غضون عاماً وهى أن أدخر الف دولاراً وبالمبلغ أستأجر محل بقاله وأملأه بضائع .. اخترت هذا المشروع بالذات لأن اقرب محل بقالة يبعد مسافة ربع ساعة عن محل سكنى . كان من ضمن خطتي أن أحسن لغتي الإنجليزية لكن لم يكن عندي النية لإنفاق سنت واحد على التعليم في الوقت الحالي على الأقل، لذلك اتبعت طريقة التعلم من خلال الاحتكاك اليومي مع الإنجليز . واقترب العام من النهاية واقترب حلمي من تحقيقه ، لكن أتت الرياح بما لم تشتهى السفن ، شعرت بإعياء شديد وتملكني سعال انتهى بقطرات من الدم في منديلي ، أصبت بالهلع وقتها لأنى علمت أنى قد أصبت بالسل ، المرض الذى أودى بحياة أبى.

بمجرد ما علم زملائي في العمل أبلغوا مشرف العمال فتم طردي ، عدت إلى السكن ورأسي يدور لقد إنهار حلمي، ألقيت جسدي على سريري وأنا لا أقوى حتى على التفكير في ماذا على أن أفعل الآن؟

وكما حدث في العمل ، علم زملائى بمرضى ، لأجد نفسى في الشارع ، قادتنى قدماى إلى الكنيسة فلجأت للواعظ الذى أرشدنى بضرورة دخولى للمستشفى وإلا فأنى ميت لا محالة . إذن بدلا من استخدام مدخراتى لتحقيق حلمى وجب على إنفاقها لعلاجي ، راجعت نفسى فوجدت أن الصحة أهم من المال ، فماذا سيفيدني المال إذا ما سقطت ميتا الآن.

دخلت المصحة ، أخبرني الأطباء هناك أن تكاليف الإقامة التي تشمل الطعام الجيد والتعرض لأشعة الشمس الشافية هما مفتاح علاجي وعلى أن امكث هنا ستة أشهر حتى أتماثل للشفاء.

فكرت أنه طالما وجب على ذلك فلابد لى من استغلال وقتي في تعلم اللغة الإنجليزية . وساعدتنى في هذا ممرضة جميلة تدعى إيزابيلا إيطالية الأصل مثلى لكنها تتقن اللغة بطلاقة ، إيزابيلا ذات العيون البنية الواسعة والثغر الذى يشبه حبة الفراولة أسرت قلبى بحق ، كنت أظن أن موضوع الحب غير مطروق بالنسبة لى لأن أمامى حلم لابد لى أن احققه ، لكن ليس للمرؤ سلطان على قلبه.

مرت الستة أشهر سريعا وتماثلت للشفاء ، توطدت علاقتي بإيزابيلا وتعاهدنا على الزواج متى تيسرت الأمور ، كنت قد حكيت لها عن كل شيء عنى بما في ذلك أن مهنتي الأساسية هي الزراعة ، بقى على خروجي بضع أيام عندما جاءتني إيزابيلا مشرقة الوجه لتخبرني أن هناك وظيفة من أجلى ، تهللت أساريري وسألتها فعلمت أن أحد المرضى الذى وصل حديثا للمستشفى صاحب مزرعة ويبحث عن ناظرا لها أثناء استشفاؤه من المرض.

لم أصدق نفسى وحمدت الله أنه جعل لى من المحنة منحة ، فقد عادت لى صحتى وأصبحت موظفاً بأجر شهرى مائتان دولارا ومسكن ومأكل مجانى .

وكعادتى أحب التخطيط ، الوظيفة محددة بموعد شفاء الرجل وعودته لعمله ، إذن على إدخار كامل راتبى حتى أستطيع إدخار المال من أجل تحقيق حلمى.

حلم محل للبقالة أملأه بالبضائع وأتزوج إيزابيلا.

تمت

(خطوات على طريق الحياة)

"بينَ كفاحِ الآباء، وأحلامِ الأبناء.. حكاياتا ترويها الأيامُ وتُخلدُها الذكريات "

عداد الحياة

عم حسين ، سائق تاكسي ورث مهنته أباً عن جد ، حفظ شوارع الإسكندرية كما حفظته .مر العمر به وهو يدور كما يدور عداد التاكسي . تزوج من بهية ابنة الجيران منذ ثلاثون عاماً فكان عُمر ثمرة زواجه . يستيقظ مع آذان الفجر ليذهب إلى المسجد ليؤدي صلاة الفجر ثم يعود أدراجه إلى بيته ليتناول فطوره ويذهب طالباً لرزق يومه ، خبره ساعدته لمعرفة المناطق التي يطلب منها رزقه حتى لا يُهلك سيارته ويستنزف وقودها بلا طائل ، ومع دقات العاشرة مساءا يعود إلى بيته . ذلك البيت الذى ورثه عن أبيه في منطقة العصافرة بحرى بمدينة الإسكندرية . كان أيضاً ولداً وحيداً لأبيه أراد له أبيه حياةً أخرى فقد كان يأمل أن يكمل تعليمه ويحصل على مؤهل عالٍ ، لكن القدر كان له رأى آخر فقد توفى والده وهو بعد فى السنة الأولى في كلية التجارة ولم يكن لأسرته دخل غير هذا التاكسي العتيق . لذلك لم يكمل دراسته وأكمل مشوار والده لكى يعول نفسه وأمه . وذات يوم فاتحته أمه في أن تخطب له بهية ابنة الجيران التي تسكن في البيت المجاور، وعندما هم أن يعارضها لعدم توفر لديه إمكانيات فتح بيت في هذا الوقت ، فإذا بها تذلل له العقبات ، عقبة تلو الأخرى .. فتارة تقول له أن البنت توافق أن تعيش معهم في نفس البيت وأخرى تتعلل إنها كبرت ولم تعد تقوى على خدمته ورعاية البيت .. ومرة تذكر إنها لن تطلب أكثر من دبلة دهب و غرفة نوم فقط.

حتى وافق ووجد نفسه بعد عام أباً لطفل جميل سماه عُمر وزوجاً لفتاة جميلة هادئة الطباع حنونة تطيعه وتلبى طلباته وطلبات أمه. سارت حياته هادئة مستقرة، لكنه دائماً كان يعيش في سجن صنع جدرانه بنفسه، فقد كان يطارده هاجس أن يموت قبل أن يعبر ابنه لبر الأمان وينهي دراسته ويحقق الحلم الذي فشل في تحقيقه ويصبح خريج جامعة في كلية مرموقة.

لم يكن هذا الهاجس شر على طول الخط لأنه كان السبب لجعله حريصاً على صحته، فلم يشرب سيجارة ولم يدخن أرجيلة قط في حياته. كان أيضا يسوق بعقلانية ولا يتجاوز السرعة المسموحة مهما ضغطت عليه زبائنه مخافة أن يموت في حادث أو يُدمر مصدر رزقه. كذلك حرص على أن يدفع اشتراك التأمين الاجتماعي حتى إذا أصابه شيء كان عنده معاش يعوله.

لم يكن كسائر أبناء مهنته، فلا هو يتدخل في مكالمة زبون يقوم بتوصيله ولا يزعجه بأحاديث لا يهتم بها. لم يأخذ يوم إجازة لحرصه على عدم تضييع دقيقة ممكن أن تدر عليه قرشاً زائداً يعينه على نفقات بيته. كان يتبع نظاماً صارماً في توزيع دخله، وكانت زوجته وأمه لا تقدمان أي اعتراض على أي قرار يأخذه ثقة فيه، فسيارته لادا قديمة موديل ٨٥، رفيقة دربه وكفاحه يشعر بها وكأنها إنسان له قلب ومشاعر، صوت المحرك، صوت ماسورة العادم أو أي دخن غير طبيعي ينبعث منها، تعلم ميكانيكا السيارات وأصبح قادراً على معالجة أعطالها الكثيرة الطارئة، فلا يلجأ للميكانيكي إلا في الأعطال الكبيرة فقط.

كان يخصص ستون بالمائة من دخله الشهري للسيارة ما بين البنزين والصيانة الدورية والأعطال المفاجئة، كذلك حرص على دفع أقساط التأمينات الاجتماعية لخوفه من إعاقة أو موت مفاجئ حتى لا يترك عائلته تسأل الناس.

أما عُمر، ابنه وقرة عينه، فكان نعم الابن بحق. كان يشعر بأبيه فلا يثقل عليه بمصروفات يمكن الاستغناء عنها. كان يعمل أثناء الإجازة الصيفية في ورشة ميكانيكا تقع في نفس الحي الذي يسكن فيه، ولم يختار المهنة عبثاً، فقد أراد أن يفهم كل شيء يخص سيارة أبيه وفي نفس الوقت يفهم دهاليز المهنة حتى لا يتعرض أبوه لأي استغلال، حتى إذا وصل لعنق الزجاجة التعليمية "الثانوية العامة"، دفعه أبوه دفعاً للتركيز في دراسته راجياً أن يحقق حلمه القديم في إكمال تعليمه الجامعي.

تشربَ عُمر نصائحَ والدهِ جيداً، واضعاً نُصبَ عينيهِ حلمه الخاص بالالتحاقِ بكليةِ التمريض. لم يكن شاباً مستهتراً؛ بل تجلت جديتُه منذ صغره، فحين حصلَ على أولِ هاتفٍ ذكيٍّ له، كان ذلك من حُرِّ مالِه الذي ادخرهُ من عملِهِ في الإجازةِ الصيفيةِ إبانَ دراستِه الإعدادية.لم يثقل أبيه بالكثير من المصاريف وقرر متابعة دروس القنوات التعليمية على يوتيوب، أما الكتب والمذكرات فقد حصل عليها من أحد جيرانه. كان مقتنعاً بأن التنقل بين المعاهد لتلقي الدروس كانت مضارها أكثر من نفعها ما بين إهلاك الوقت ومضيعة للمال. واصل الليل بالنهار لتحقيق حلمه وحلم والده... حتى جاء اليوم الموعود.

جلس إلى جوار أمه وجدته في انتظار أن يخف الضغط عن موقع الوزارة ليعرف النتيجة، مر الوقت ولم يفلح في الوصول إليها حتى شعر بصوت مفتاح أبيه يدور في طبلة الباب.

دخل عم حسين والفرحة تزغرد على وجهه واندفع إلى ابنه ليحتضنه ويقبله بين عينيه ويزف إليه نبأ حصوله على خمس وتسعين في المائة ثم جلس لالتقاط أنفاسه وقال:

-حبيب قلب بابا، نعمة ربنا وتعويضي لتعب أيامى ولياليه، ألف ألف مبروك وعقبال ما أهنيك لما تبقى دكتور كبير وترفع رأسي.

طفرت الدموع من عيون الجدة بينما أطلقت الأم زغرودة واندفعت للمطبخ لتعد الشربات، بينما قال عُمر في سعادة وبنبرة هادئة:

-بابا حبيبي، بعد إذنك أنا حدخل كلية التمريض مش كلية الطب.

نزلت كلمات عُمر على رأس أسرته الصغيرة كالصاعقة، فقال الأب معترضاً.

-ليه يا حبيبي؟ حد يسيب الطب ويدخل تمريض؟

أما جدته فإنبرت هي الأخرى ووقفت إلى جوار وحيدها قائلة:

-يا بنى إنت إتجننت، تمريض إيه وزفت إيه؟

كانت الأم في المطبخ تُعد الشربات، ودخلت عليهم وفي يدها صينية بها دورق شربات وبعض الكؤوس التي كانت تنوي توزيعها على الجيران فرحةً لنجاح وحيدها، لكنها وجدتهم واجمين فقالت مستفسرة:

-حصل إيه؟ مالكم متنحين كده ليه؟

قال عم حسين في غضب:

-ابنك الحيلة عاوز يرمي مجموعه في الزبالة ويدخل تمريض.

اتسعت عينا الأم وتساءلت ملتاعة:

-صحيح يا عمر؟

أخذ عمر نفسًا عميقًا ثم زفره ببطء وقال في هدوء:

-بابا، ماما، تيتة... اسمعوني من فضلكم ومحدش يقاطعني. أنا عايز أدخل كلية التمريض بالذات عشان الكلية دي أولًا أربع سنين مش سبعة، ثاني حاجة أقدر أشتغل ممرض من وأنا في سنة أولى. مستشفيات كثير بتسمح بده، ثالث حاجة فرص الشغل بره مصر مبيشترطش شهادة خبرة كبيرة ولا معادلة. ثالث حاجة وده الأهم أعتقد من حقي أحدد مستقبلي ولا أنا غلطان؟

لم يقتنع عم حسين بكلام ابنه ، وبدا الحزن في عينيه بعد أن تم وأد فرحته في مهدها، فقال لينهي الحديث:

-أنت حر يا عمر، اعمل اللي أنت عاوزه.

ثم توجه بالكلام إلى زوجته لتجهز له الغداء سريعا ليذهب لاستكمال عمله، فأومأت برأسها وذهبت لتعد له الطعام بلا حماس.

* * * *

الأيام تدور في رتابة بعم حسين وهو يقضي يومه بين شوارع الإسكندرية لنقل زبائنه هنا وهناك. مابين شاب متعجل يصرخ فيه ليسرع، أو سيدة عجوز ينزل عن مقعده ليعاونها.

لصعود السيارة أو زبون ثرثار يُصر أن يستمع له حتى ينهي قصته .

وأحيانا أخرى تدفعه سيارته العجوز لقضاء يومه عند الميكانيكي لإصلاحها، فينتهي اليوم به دون أن يجني قرشًا واحدًا، بل على العكس تمامًا، وقد أنفق المال.

حتى جاء يوم شعر أنه لا يستطيع التقاط أنفاسه بينما نبتت حبات العرق على جبينه ثم صرخ منتصف صدره بآلام مبرحة، وشعر بخذلان يده اليمنى وإفلاتها لعجلة القيادة فضغط على كابح الفرامل بشكل غريزي لتتوقف السيارة مع صوت الراكب وهو يعترض على توقف عم حسين المفاجئ ، الذى لم يستطع أن يرد عليه بكلمة واحدة لأنه سقط في هوة سحيقة بدون نهاية.

* * * *

عاد إليه وعيه بشكل تدريجي، واستطاع أن يميز صوت أمه وزوجته وابنه وصوت رجل آخر. فتح عينيه في تثاقل ودار بهما في المكان ليجد نفسه ممددًا على سرير في مستشفى. وبجواره عمود معلق عليه محلول، بينما يقف عُمر ابنه يتحدث مع الطبيب، أما زوجته فكانت جالسة إلى جواره. تساءل عما حدث له، فأجابت:

-كنت عارفة إن دي حتكون أخرتها. طول عمرك دماغك ناشفة ومبتسمعش لحد، صحتك كانت آخر أولوياتك، بتشتغل زي المكنة ومفيش حتى يوم أجازه تريح فيه جتتك. واحد اتصل بعُمر ابنك بلغه إنك أغمى عليك وأنت بتوصله فطلب منه يجيبك على المستشفى اللي بيشتغل فيها فيها. والدكتور...

اختنقت الكلمات في حلقها فأجهشت بالبكاء، فانصرف بصره إلى الطبيب يسأله في صوت ضعيف:

-عندي إيه يا دكتور؟ أنا عمري ما اشتكيت من حاجة. طول عمري صاغ سليم.

نظر الطبيب إليه وقال مبتسمًا:

-أحمد ربنا إنك وقعت في إيد واحد ابن حلال جابك المستشفى بسرعة.. كنت حتروح فيها.

ثم صرف الطبيب نظره لعُمر وألقى إليه تعليمات جديدة. لكن عم حسين كرر

السؤال دون أن يوجهه لأحد هذه المرة:

-يا عالم أنا عندي إيه؟ أنا عمري ما دخلت مستشفى قبل كده ولا اشتكيت من حاجة.

نظرت له زوجته وقالت من بين دموعها:

-أنت نسيت إنك دايما كنت بتشتكي من صداع وتبلع في مسكنات وخلاص.

انصرف الطبيب من حجرة عم حسين بينما شرع عمر في إضافة بعض الأدوية إلى المحلول.

وقال في حنان:

-بابا...ممكن تهَدى نفسك شوية...إنت كنت بتعانى من ارتفاع في ضغط الدم لفترة طويلة. بدون علاج وده للأسف أثر على قلبك.

استقبل عم حسين كلام ابنه كصاعقة ضربت كل أجزاء جسده بلا رحمة، فانهمرت الدموع من عينيه وهو لا يكاد أن يصدق ما تسمعه أذناه:

-قلب .. أنا صاغ سليم وما بشتكيش من حاجة، ده مجرد إجهاد وتعب .. أدوني أي حاجة أنا عندي شغل .. مينفعش الرقدة دي .. إنت حتعمل عليا دكتور يا ولد.

اقترب عمر من والده يمسح دموعه ثم قبله بين عينيه وقال:

-لازم تستريح فترة يا بابا لحد ما تخف ومتشغلش بالك بالشغل دلوقت.

لم يسمع عم حسين جملة ابنه الأخيرة لأنه عاود النوم من جديد تحت تأثير الأدوية. لم يكن يعاني من مرض عارض كما ظن، فهذا الجسد الذي تحامل عليه صاحبه وحرمه من أبسط حقوقه إنهار في النهاية تحت وطأة المرض. بعد مرور يوم في المستشفى أظهرت القسطرة التشخيصية وجود ضيق في الشرايين التاجية. فكان لابد من إجراء عملية أخرى لتركيب دعامات لها. وقَعتْ الأسرة بجانب مُصابها في عائلها في أزمة مالية شديدة. فلم يكن في البيت غير مبلغ عشرون ألف جنيه كان يدخرها عم حسين من أجل صيانة سيارته المفاجئة. فقد كان يحرص على صحة السيارة، ونسي تماما أنها بدونه لن تستطيع الإنفاق على الأسرة.

تآكل المبلغ البسيط سريعا، لأن عُمر رفض إدخال والده مستشفى حكومية، فبصفته يعمل في المجال الطبي يفهم جيداً ما يحدث هناك، لذلك كان خياره الأوحد إدخاله في المستشفى الاستثماري الذي يعمل فيها بجوار تكليفه في المستشفى الحكومي.

باعت الأم حُليها الذهبية لتكمل علاج زوجها حتى خرج من المستشفى وعاد لبيته بعد تحذيرات مشددة من الأطباء بعدم عودته نهائيا لمهنته السابقة.

جلس عُمر بجوار والده و وقبله بين عينيه قائلاً في حنان:

-لازم يا بابا تأخذ الدواء في ميعاده، كمان لازم تستريح عشان ميحصلش حاجه تانية لا قدر الله وكفاية شغل لحد كده.

شعر عم حسين بغصة في حلقه فابتلع ريقه وقال:

-عايز تقول انى محتاج دلوقت رصاصة رحمة زي خيل الحكومة... أزاي أقعد في البيت؟ وحنصرف منين وحنجيب حق الدواء منين... على آخر الزمن عايزنى أبقى عالة عليك.

ربت عمر على كتف أبيه وقال مدعيا الغضب:

-يقطع لسان اللي يقول عليك كلمة زي دي... يابابا، انت فاضلك ثلاث شهور وتوصل للستين.

...والحمد لله طول عمرك بتعمل حساب الصغيرة قبل الكبيرة وكنت بتدفع قسط تأمينك في ميعاده. وكبرتني وعلمتني، وأنا الحمد لله دلوقت شغال في المستشفى الاستثماري جنب شغلي في الحكومة. وأهو معاشك جنب شغلي الدنيا تمشي.

في هذه الأثناء دخلت الأم تحمل أكواب الشاي وقالت وهي تناول كل منهما كوبًا.

-ما تأخذنيش يا سي حسين، أنت لازم تبيع العربية... أنت محتاج لتمنها من ناحية ومن ناحية تانية ركنتها حتبوظها.

نزلت عبارة الابن والزوجة على رأس عم حسين كطوفان لا يبقى ولا يزر فقال في يأس لا يخلو من انفعال:

-بقيت عالة عليكم خلاص، عربيتي اللي قضينا عمرنا سوا هتتباع؟ طب وأنا أعمل إيه؟ آكل وأشرب وأستني موتى.

ثم رفع يده للسماء من بين دموعه وقال:

-يارب أنا طول عمري خايف أموت عشان مسيبش بيتي للحوجة، عمري ما جه في دماغي أنى أرقد من غير شغلة ولا مشغلة. رحمتك يارب. يارب خدني وريحني.

دخلت الجدة فوجدت وحيدهاعلى هذه الحالة فاحتضنته وقبلت رأسه وقالت له مواسية:

-في إيه يا واد يا حسين؟ مالك مكبر الحكاية كده، هو إنت عجبه بين الناس؟!! الموظفين لما بتوصل ستين سنة بتقعد في البيت. دي سنة الحياة. وبعدين إنت حبيقي معاك معاشك. تصرف منه ومحدش حيجبى عليك بحاجة وده عُمر ابنك فيها. إيه يعني لما يساعد شوية في مصاريف البيت... أنا عارفة أن عربيتك مش أكل عيشك وخلاص، دي عشرة عُمْر ومن ريحة المرحوم والدك، وصعب عليك تفرط فيها. بس زي ما بهية قالت، ركنتها حتبوظها.

نظر عمر إلى جدته ووالديه وقال متحمسا:

-في حل تاني غير بيع العربية، أنا ميخلصنيش زعل بابا حبيبي.

نظر عم حسين إلى ولده وقد عاد له بعض الأمل وتساءل عن كيف السبيل لذلك فاقترح عليه عُمر تحويل رخصتها إلى ملاكي فابتسم الأب وهز رأسه موافقا.

مرت الأيام على عم حسين في ملل لم يعهده، فيومه الذي كان يمر سريعا وهو يتحرك

هنا وهناك لإيصال الزبائن أصبح يمر ببطء السلحفاة.. أصبح يجلس شارداً يتابع

التلفاز... أو يجلس في الشرفة يتابع المارة ولعب الأطفال أو يتأمل سيارته التي تحولت لملاكي. وهي تقف على جانب الطريق ليمر شريط ذكرياتها معها كالطيف فيبتلع ريقه في حسرة. كانت الزوجة تقضي وقتها كالعادة بين النزول لشراء متطلبات البيت والأعمال المنزلية. أما الجدة فلم يتغير روتينها بين قراءة القرآن والتسبيح أو الذهاب إلى المسجد.

لاحظت بهية ما يمر به زوجها وأنه لا يستطيع التأقلم على وضعه الجديد، فأخذت تشجعه. على الخروج تارة إلى المسجد ليساهم في أنشطته الاجتماعية أو شراء متطلبات بسيطة من السوق.

حتى جاء يوم عاد فيه عُمر من العمل والسعادة ترقص فوق وجهه، معلناً أنه يعتزم السفر إلى المملكة العربية السعودية بسبب قبوله للعمل في مستشفى هناك بعد أن أدى اختباراته عبر الإنترنيت. استقبلت الأسرة الخبر بفرحة عارمة وهي

غير مصدقة، لكن عم حسين المعتاد على حساب كل شيء بدقة تساءل من أين له بمصاريف السفر إلى هناك، فأجابه عمر:

-ما تشغلش بالك يا بابا، تِدبر، المستشفى أديتني فرصة ست شهور أجهز أوراقي واعمل الشهادة الصحية والفيش والداتا فلو. أما تذاكر السفر فستكون على حساب المستشفى، وإن شاء الله سنة كده وحبقي أبعتلكم تيجوا تعيشوا معايا هناك.

قال الأب وقد اختلطت المشاعر داخله ما بين فرحة من أجل ولده وحزن من أجل فراقه:

-ربنا عوضني خير فيك يا بنى، يارب يعطيك وما يحرمك ويرزقك ببنت الحلال اللي تريح بالك وتسعدك... بس إزاى أسيب بلدى بعد العمر ده كله.

قالت الأم متعجبة من قوله:

-حد يكره يعيش في المدينة المنورة؟ دي فرصة متتعوضتش يا حسين.

عقب عمر على حديثهم:

-شوفتوا بقى كان عندى حق أختار كلية التمريض بالذات، لعلمكم بقى صعب قوى على الدكاترة يشتغلوا بره مصر، مش زي الممرضين. كمان يا بابا مصاريف الحج هناك أرخص بكثير من هنا.

وعلى أعتاب فصل جديد من حياة عم حسين وأسرته، لم يعد عداد التاكسي يقيس الأجرة، بل بات عداد آخر يعدّ الأيام، منتظراً ساعة اللقاء للم شمل الأسرة، حيث تتلألأ آمال الحج والعمرة، وتشرق شمس إقامة هانئة تحت سماء أطهر بقعة والتي ستصبح وطنًا ثانيًا لعم حسين. في تلك اللحظة، أدرك أن أصعب المشاوير غالبًا ما تحمل في نهايتها أجمل الأقدار. وأن الأيدي التي تعبت من أجل لقمة العيش قد حان لها أن تستريح في ظل غدٍ مشرق رسمه وفاء ابنة عمر. لم يعد صوت أنبوبة العادم القديمة يمزق سكون الليل، فقد حل محله همس الأحلام المحققة. ووعودٌ قطعتها أيادي ابن بار ليحمل عن كاهل والده تعب سنوات وسنوات.

تمت

مرآة على الطريق

كنت أستقل سيارة العمل، وكما هي العادة أحب النظر إلى النافذة أحياناً عندما يكون هناك ما يحتل تفكيري، أو أقلب صفحات التواصل الاجتماعي عندما تكون باقتي في عنفوان شبابها. أما الخيار الأكثر تنفيذًا فهو الاستسلام للنوم. غفوت قليلاً .. وفجأة فتحت عيني على صوت صرير السيارة وهو يقاوم الأسفلت لأجد كل شيء قد تغير فجأة. لم أكن بداخل السيارة، ولا حتى ملقى على الأسفلت غارقًا في دمي. فقط سكون تام عجيب، بينما اختفى قرص الشمس والطريق الأسفلتي، حتى السيارة وزملائي لم يكونوا في المشهد، فقط مرآة مثبتة في الطريق وأنا أنظر لنفسي بداخلها، ولكن بدلاً من أن أرى نفسي أنظر إليّ بنفس تعبيرات القلق والتعجب، وجدتها بدلاً من ذلك توليني ظهرها وتستمر في السير في طريق غير نهائي.

ارتعش جسدي عندما لمس كتفي شخص ما، فالتفت فجأة فإذا بي جالسًا في مقعدي في السيارة وزميلي يوقظني ليعلمني أننا قد وصلنا إلى العمل. تثاءبت وفردت ذراعي عن آخرهما قبل أن أنهض وأبدأ روتين يومي وأنا لا أزال أفكر في ذلك الحلم العجيب.

* * * *

عدت إلى منزلي ولم ينفك الحلم يدور في رأسي أشبه بأسطوانة قديمة تكرر نفسها. استقبلتني أمي بجملتها الأزلية:

- اذهب لتغتسل حتى أعد لك الطعام .جلست لألوك لقيمات من غذائي بلا حماس، ثم نهضت لأغسل يدي وأنا أتحاشى النظر للمرآة التي أمامي، لكني في النهاية نظرت وابتسمت سخرية من نفسي، فماذا كنت أتوقع أن أرى غير انعكاس وجهى المرهق.

خرجت لأجلس بين أبوي وإخوتي الصغار أطالع التلفاز، كان يعرض فيلماً قديماً، حاولت نسيان حلمي والاندماج مع أسرتي بينما أشرب الشاي وأتناول بعض التسالي. لكن فجأة انطفأ التلفاز وظهر مكانه مرآة ضخمة تعكس نفس المشهد الذي رأيته في حلمي فنهضت واقتربت من التلفاز ألمس سطحه فوجدته فعلاً مرآة وليس مشهداً يعرضه التلفاز.. لكن أين اختفى التلفاز ومن أين أتت هذه المرآة، التفت إلى أسرتي لعلّي أجد لديهم إجابة مقنعة، فراعني اختفاؤهم جميعاً بل

اختفاء جدران منزلي وتبدل المشهد لطريق مقفر بلا شمس، يتوسطه تلك المرآة التي أسير بداخلها إلى ما لا نهاية.. هل عدت لأحلم أم أن هذا واقع عجيب أحياه. انتشلني من حيرتي ضربة خفيفة على راحة يدي فالتفت لأرى ماذا هناك فطالعني وجه أمي المبتسم وهي تقول:

- ألن تكف عن النوم أمام التلفاز، هيا انهض ونم في سريرك .فركت عيني وأنا أتلفت حولي، كنت جالسًا في الردهة بينما يعرض التلفاز فيلماً آخر، أما أسرتي فقد انصرفت للنوم ولم يبق غيري. نهضت بينما يغلفني حيرة غير نهائية وألف سؤال وسؤال يطرق رأسي مع صداع نابض.

هل جننت، أم أصبت بمرض عضال، أم أن هناك أمراً سيحدث لي وهذا الحلم المتكرر مجرد تحذير. وضعت نفسي في منامتي وقد اتخذت قراراً بالذهاب إلى طبيب نفسي لعلّي أجد عنده الإجابة، واستسلمت للنوم وأنا أتوقع تكرار الحلم. لكن من الغريب إنني نهضت في الصباح دون أن أتذكر شيئاً، هل حلمت ونسيت الحلم أم إنني لم أحلم من البداية؟

* * * *

جلست في ردهة الانتظار في عيادة طبيب نفسي شهير وأنا أرتب ماذا سأقول له عندما يحين دوري، أفقت من شرودي على صوت السكرتيرة وهي تخبرني أن دوري قد حان. جلست إلى الطبيب وأنا أتلفت حولي لأجري مسحاً شاملاً للغرفة عندما سألني عما أبحث، فأجبته بسؤال:

- أين الشزلونج الذي يستلقى عليه المرضى؟ أتتني ضحكة قصيرة منه ثم أوضح لي أن هذه التقنية لم تعد مستخدمة إلا فيما ندر من المدارس القديمة التي تعتمد على تقنية سيجموند فرويد في التحليل النفسي.

ثم طلب مني أن أقص عليه شكوتي وكل ما يحيط بي في بيئة حياتي اليومية. وبعد ذلك استمع إلي بصبر بل كان يحثني على المضي قدماً في الحديث من خلال إلقاء أسئلة متنوعة لا أفهم لها هدفاً، لكني كنت أجيبه على أي حال. وعندما انتهيت انتظرت منه تفسيراً مقبولاً لهذا الحلم المتكرر، فتراجع في مقعده وشبك يديه وقال لي:

- أنت لا تحب عملك، لأنك لا تعمل في تخصصك، كما إنه لا يلبي احتياجاتك، ويستغرق كل يومك فلا يترك لك المجال لتعمل فترة أخرى، وأنت كغيرك من الشباب لا تجد أملاً للزواج والاستقرار إلا من خلال مساعدة الأبوين أو تحقيق حلم السفر.

فالأحلام يا عزيزي دليل على صراع داخلي أو مشكلة لم تُحل بعد في حياتك الواقعية. استمعت إليه بغير اقتناع ثم قلت له مستفسراً:

- ولماذا ظهر الحلم في هذا الوقت بالذات ولماذا حدث لي دوناً عن غيري، فلست وحدي الذي أعاني.. نحن جيل بأكمله .آتاني رده ليلقي بي في هوة سحيقة من الحيرة:
- يا عزيزي تختلف تجربة كل شخص عن الآخر لأنها تتأثر بمدى معالجة كل فرد لصراعاته، واحتياجاته النفسية، والبيئة المحيطة به، والتحفيزات البيولوجية أو الخارجية التي تساهم في ظهورها. لذلك فأنت حالة متفردة حتى لو كنت تعاني مما يعاني منه الآخرون ونصيحتي لك لا تلقِ بالاً لهذا الحلم وسيختفي مع الوقت كلما تقدمت في العمر.

تمت

رؤيا أمي

سبتمبر ٢٠٢٥

حدث لي منذ أربع سنوات أمراً، لو كان حدث لغيري لكان مات من الحسرة أو أصيب بمرض عضال، لكني ولله الحمد دائماً أنظر لنصف الكوب المملوء وأتدثر بإيماني بالله وبصبري في أي أمر يلحق بي، أسترجع وأحمد الله تعالى.
في ذلك الوقت كانت شركتي تمر بأزمة مالية شديدة جعلت إنتاجها يتوقف، وبالتالي تَعَثَّرتْ في سداد رواتبنا، فكنا نتسلم الراتب كل ثلاثة أشهر، مما دفع العديد من الموظفين الصغار إلى البحث عن عمل آخر والهروب من المركب التي على وشك الغرق.

أما أنا فلم يكن من السهل علي ذلك، مثلي مثل أغلب مديري الأقسام، لأن في محافظة الإسكندرية لم يكن هناك الكثير من الشركات التي لها نفس نشاط شركتي، وبالتالي تضاءلت فرصة حصولي على عمل آخر، ولأنني سيدة كان من الصعب علي ترك زوجي والسفر للقاهرة للعمل هناك، فاكتفيت بالصبر والأمل أن الغد قد يأتي بالخير.
كان سائق السيارة التي تنقلنا للعمل يتمتع بسمعة طيبة بين الناس، خدوم يقف إلى جوار كل من يمر بأزمة، كان يسقي ويطعم الحيوانات من قطط وكلاب في منطقة شركتنا لأنها منطقة صناعية ليس فيها أسواق أو بيوت سكنية تعتني بتلك الحيوانات. كنت في تلك الفترة منخرطة في إنقاذ القطط التي ألقى بها أصحابها في الطريق متأثرين بإشاعة مغرضة أن تلك الحيوانات الضعيفة تنقل فيروس كورونا!!
وذات مرة كنت في طريقي للعمل فراعنى قط سيامي يجلس بالقرب من نهر الطريق على غير عادة القطط، فطلبت منه أن يقف حتى آخذ القط لإنقاذه. فلم يتردد رغم سخط ورفض باقي الموظفين خوفاً من انتقال الأمراض أو الحشرات إليهم. ولم يكتفِ بمساعدتي بالوقوف والسماح بركوب القط، بل زاد على ذلك أن استضافه في غرفة استراحة السائقين فترة العمل.
وتوالت مساعدته لي في إنقاذ الحيوانات حتى جاء يوماً طلب مني أن أساعده

وأحضر طعاماً للقطط والكلاب المحيطة بالمصنع لأنه يحضر طعاماً لا يكاد يكفيهم، فلم أتردد رداً مني على سابق معروفه وكذلك لأنني أحب مساعدة تلك الحيوانات العجماء.

وجاء يوم اتصل بي أثناء اليوم وهو مضطرب وبجواره صوت جرو صغير يصرخ وأبلغني أن الجرو دهسته سيارة أمام عينيه ويريد أن آتي معه ليذهب به للمستشفى، فاستأذنت وذهبت معه ودفعت ثمن علاج الجرو وكذلك استضافته العلاجية.

وانتشر بين موظفي الشركة كلها أني دفعت مبلغاً كبيراً لعلاج الجرو بالرغم من أننا لا نتسلم رواتبنا في موعدها، إلى آخر كلام النميمة والحسد في مجتمع الشركات.

واعتبرتُ هذا السائقَ بمثابةِ ابني، ووثقتُ فيه ثقةً عمياء، لدرجةِ أني أطلعتُه على نيتي في أداءِ فريضةِ الحج، وطلبتُ منه أن يبحثَ لي عن **(جمعيةِ ادخارٍ تعاونية)** يشركني فيها لأتمكنَ من تدبيرِ النفقات. لم يمر يومانِ حتى أبلغني بوجودِ واحدة، فوافقتُ على الفورِ واشتركتُ فيها.

وقدمت في نظام قرعة الحج وفي يوم القرعة جلست إلى حاسوبي ينهشني التوتر وأنا أُدخل رقمي القومي، فشملني الإحباط مع ظهور جملة "نتمنى لك حظاً أوفر المرة القادمة"، فما كان من السائق عندما علم حتى عرض علي الدخول معه في شراكة افتتاح كافتيريا لما له من خبرة سابقة في هذا النوع من النشاط، فوافقت على الفور بدون تردد مع إخباره أني سأخبر زوجي أولاً وأن زوج أختي المحامي سيكتب عقد الشراكة. فوعدني أن رأس مالي بالإضافة للأرباح سيكون في حوزتي بعد عام ووقتها أستطيع التقديم في القرعة مرة ثانية.

وحضر زوجي وزوج أختي كتابة عقد الشراكة وكنت سعيدة للغاية لأنني سأكون شريكة في مشروع خاص يدر علي دخلاً منتظماً بدلاً من مرتبي الذي لا أعلم متى سأتسلمه؟

أنا معتادة على الذهاب لأمي يوم الجمعة لأراها وأرى أختي ونقضي سوياً يوماً عائلياً جميلاً، وفي نهاية اليوم كان يصحبني زوجي للمرور على الكافيتريا التي تفرغ السائق لإدارتها وترك نهائياً مهنته كسائق. أول شهر دفع إلي بنصف إيراد الكافتيريا كما هو متفق في العقد، فقد تنازل عن راتب إدارة المكان وعرض علي

أن أشاركه في محل بازار يجاور الكافتيريا وبقوة إقناعه وافقت ولم يمانع زوجي لأدفع بكل مدخراتي في هذين المشروعين على أمل أن يدرا علي دخلاً في حالة أوقفت شركتي نشاطها.
وذات يوم هاتفتني أمي وهي في غاية التوتر والقلق قائلة:

- يا بنيتي أنا قلقة عليك للغاية وغير مستريحة لشراكتك مع هذا الشخص وقد أخبرتك من قبل لكنك لم تستمعي لي ودفعتي إليه بكل المال الذي كنت تنوين الذهاب به للحج عن أبيك.
فتعجبت من مكالمتها وقلت لها هل تحدثيني في العمل لتخبريني بأمر قد قلتيه لي أكثر من مرة. ما الجديد؟
صمتت برهة ثم قالت وهي تكاد تبكي:
- لقد رأيت لك رؤيا أمس أفزعتني، رأيتك ترتدين ملابس عجيبة وعينيك تنظر وكأنكِ لا ترين وفمك مغلق بكمامة وتسيرين نحو بركة من الماء الآسن، ناديت عليك فلم تجيبيني، فكررت النداء لكنك وقعت في البركة وأخذ ماؤها الآسن ينساب إلى فمك حتى كاد يقضي عليك، وأنا أراك أمام عيني تغرقين، أخذت أستغيث بالناس لكنهم يمرون بجانبي ولا يلتفتون ، فاندفعت إليكِ ولا أدري من أين استمددتُ تلك القوة التي أعانتني على إخراجكِ من البركة، ثم جلستُ إلى جواركِ أضغطُ على صدركِ بكل ما أوتيتُ من عزم، والماءُ يندفعُ من فمكِ، حتى شهقتِ شهقةً ردت إليكِ الروح، واستعدتِ وعيكِ.

استمعتُ إلى رؤيا أمي وأنا لا أدركُ كنهَها، ولا أفهمُ سرَّ مكالمتها في ذلك التوقيت، وعندما استوضحتُها الأمر، أجابتني بأنها لا تعلمُ تأويلاً دقيقاً، لكنها حين استيقظت؛ شعرت بانقباضٍ يربطُ بين منامها وشراكتي مع ذلك السائق.. حاولتُ تهدئتَها وإقناعَها بأنها مجردُ أضغاثِ أحلام، وأنه لا خطر يتهددني، ثم أنهيتُ المكالمة.
وفي إحدى أيام الجمع طلبت مني أمي أن أذهب بها لأداء العمرة وكان وقتها تسألني مبلغاً من المال يكفي لتذهب للأراضي المقدسة فقلت لها على استحياء أن تصبر قليلاً فليس لدي من السيولة للذهاب الآن وأبلغتها أن السائق حالياً طلب مني أن ندخل في جمعية كبيرة مع زميلة لي في العمل بأربعة أفراد ندفع بها بكل إيراد الكافتيريا والبازار حتى نتمكن من تكبير المشروعين إلى سوبر ماركت كبير.. وأن الأمور ستتحسن قريباً لأن مالك

شركتي قد باعها لشركة كبيرة متعددة الجنسيات ستقوم بتسديد رواتبنا المتأخرة، فما كان من أمي أن هاجت وماجت على غير عادتها وقالت لي جملة أوجعتني:

- لو كان السائق قال لك هذا ما كان هذا ردك.

فقبلتها من رأسها معتذرةً وعازمةً على تلبية طلبها حتى وإن اضطررت لبيع ذهبي. وذهبت معها للعمرة بعد أن اقترضت مبلغاً كبيراً من مديري المباشر بالإضافة لبيع جزء من مشغولاتي الذهبية.

وذهبت لأداء العمرة بوجه وآتيت بوجه فقد كنت كمن سُحرتْ عيونه أو فقد عقله على مدار عامين، لأبلغ قراري لزوجي بفض شراكتي مع السائق، وجئت بزوج أختي وبأحد زملائي في العمل الذي تعرض للنصب من هذا الأفاق هو الآخر، لكن ليس بدرجة مئتين ألف من الجنيهات بالإضافة لأربع جنيهات ذهبية كان قد اقترضها من زوجي وتهرب من ردها برغم أنه كتب على نفسه وصل أمانة.

قام زوج أختي بعمل تخارج من الشراكة وكتب عليه وصلين أمانة بالمبلغ بالإضافة إلى إقرار بتسديد كل المبالغ التي أخذها مني.

ووقع في نفسي أنني لن أسترد شيئاً من مالي، وبالفعل لم آخذ شيئاً حتى بعد رفعي قضية بواحد من إيصالات الأمانة التي في حوزتي، لأنه باع المحلات وغير عنوان سكنه فلم نهتدِ إليه. أبداً

ونظرت لنص الكوب المملوء وحمدت الله أن الجمعية الكبيرة التي دخلتُها مع زميلتي من إيراد شركتي معه لم ينلها، لكني وقعت في أزمة أخرى لأن قسط الجمعية كان يفوق راتبي، لكن الله وقف بجانبي حتى قمت بسدادها وسددت لزوجي أيضاً الأربع جنيهات الذهبية لأنني كنت الضامن حين اقترضها هذا النصاب منه . وجاءت إلى أمي مبتسمة لتذكرني بمنامها وقالت:

- هذا تفسير رؤياي قد جعلها ربي حقاً.

تمت

الورود الحمراء

حبيبتي، لقد اشتقتُ لكِ كثيراً.. منذ تركتِني وذهبتِ وأنا أتلمسُ طيفكِ في كل مكان كنا فيه معاً؛ في مطبخ البيت حيث كنتِ تعدين لي أشهى الأطباق.. أرقبُ الأطباقَ الساكنة، أمدُّ يدي لأتلمسَ بصماتِ أصابعكِ فيها. حتى الثلاجة، أسمعُ شكواها، فقد ذهبت مَن كانت تعتني بها وتملؤها بالأصناف اللذيذة.

في الصباح أتوجه للمطبخ لأعدَّ لنفسي قدحاً من الشاي باللبن وقطعة كيك. هل تعلمين؟ طالما تندرتُ على عشقكِ لهذا المشروب وكنتُ أصرُّ على أن أحتسي الشاي فقط دون خلطه بأي شيء يذهب مذاقه الأصلي، لكن عقب ذهابكِ وجدتني أتلمسُ طيفكِ في رائحة هذا المشروب، أحتسيه وأنا أتذوقُ كل قطرة فيه، وصرتُ من عشاقه أنا أيضاً.

وقت الظهيرة، عقب عودتي من صلاة الظهر أدخل البيت البارد؛ نعم لقد أصبح بارداً بلا حياة، أين صوتكِ الدافئ وأنتِ تحدثينني من المطبخ عقب دخولي:

- غير ثيابك يا عبد الرحمن واغسل يديك ..ثوانٍ والطعامُ سيكونُ على السفرة.

هل تذكرين أيام الجمعة؟ كنا نخرج للنزهة في حديقة "أنطونيادس". كنتِ تتعلقين بذراعي والفرحة ترتسم على وجهكِ وكأنكِ طفلة أخذها والدها في نزهة. وهناك كنتِ تصرين أن أبتاع لكِ زهوراً حمراء، تحتضنينها في رفق وأنتِ تتفرسين في ملامح النساء الأخريات ونظرة التباهي تعلو وجهكِ.

اليوم هو يوم الجمعة.. قضيتُ الصلاة وذهبتُ لأبتاع لكِ الزهور المفضلة لديكِ. جلستُ على الكرسي الذي اعتدنا الجلوس عليه في ذات الحديقة، رغم علمي أنكِ لن تأتي. أنظر للزهور التي في يدي والشوق إليكِ يمزق نياط قلبي، وسؤال أبدي أسأله بلا إجابة:

- متى ألحقُ بكِ؟ لقد بلغتُ من العمر أرذله، لكن يبدو أن **لا يزال** في العمر بقية.

تمت

لمتابعة الكاتبة الروائية علا مرسي على الفيسبوك:

https://www.facebook.com/Ola1Mohamed1Morsy1Writer

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023

الفهرس

المجموعة الأولى: (أطياف المجهول)

"حين ترتدي الحقيقة قناع الخيال، لتخبرنا بما لا يجرؤ الواقع على قوله"

١-الرجل المثالى.....ص٥
٢-قصر آل مراد.....ص١٥
٣-المرآة الملعونة.....ص١٧
٤-مدينة الذكريات المنسية.....ص٢٩
٥- وباء التحرير.....ص٣٢

المجموعة الثانية: (يد العدالة)

"للحقيقةِ صوتٌ خفيٌّ، وللعدالةِ يدٌ لا تُخطئ."

١-مقتل عم أمين.....ص٣٧
٢-الحجرة رقم ١٣.....ص٤٢
٣-خلف سماعة الطبيب
جزء أول : عيادة تحت الجباية.....ص٥٧
جزء ثان:مركب النسايب.....ص٦٥

المجموعة الثالثة: (أحلام عابرة للمحيط)

خلفَ الأفقِ أرضٌ جديدة، وفي القلوبِ كفاحٌ لا يهدأ"

١-سجين المختبر العائم.....ص٦٩

٢-حلم ماريو.....ص٧٥

المجموعة الرابعة: (خطوات على طريق الحياة)

"بينَ كفاحِ الآباء، وأحلامِ الأبناء.. حكاياتا ترويها الأيامُ وتُخلدُها الذكريات "

١-عداد الحياة ص٧٩

٢-مرآة على الطريق.....ص٨٨

٣-رؤيا أمى.....ص٩٢

٤-الورود الحمراء.....ص٩٦